كتب قومية

# يا ولدى هذا عمك جمال

مذكرات أنور السادات

كتب قومية

# يا ولدي..

## هذا عمك جمال..

### مذكرات أنور السادات

# مقدمة ياولدى

لم أكن أتوقع أن أبدأ فى كتابة هذه الكلمات لك فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ .. أى بعد شهرين فقط من مولدك .. أثناء اعتداء بريطانيا ، وفرنسا واسرائيل ، على وطننا الحبيب مصر ..

وستقرأ يا بنى فى كتب التاريخ عن هذه الحقبة ، ولكننى عشتها لحظة بلحظة ، وانفعالا بانفعال ، عشتها كما عاشها كل مواطن مصرى — وقتذاك — كانت تظلله سماء مصر وترتوى عروقه بماء نيلنا المقدس .. ولن أحدثك حديث الكتب أو المؤرخين .. وانما سأحدثك حديثا فيه من قلبى ، وفيه من عقلى ، وفيه من وجدانى ..

وكما قلت لك يا بنى .. لم أكن أتوقع أن أمسك بقلمى لكى أسطر لك هذه الكلمات ،وعمرك على الأرض لم يتجاوز الشهرين .. فقد ولدت يا بنى وأنا فى شغل شاغل عن بيتى وأهلى .. لقد كنا نعيش يا بنى فى تلك الأيام من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ ونحن نخوض معركة الموت والحياة من أجل مصر أمنا .. معركة نسينا

فيها الأهل ، والعيـال .. نسـينا فيها كل شيء ، وتضـاءلت ، وانمحت ، من نفوسـنا كل عاطفة لأهل أو ولد الا عاطفة واحـدة كانت تشغل كياننا فى ليلنا ، ونهارنا ، بأعنف مما يحسه الفـرد نحو أهله وولده .. وكانت تلهب عزائمنا للدفاع عما هو أقدس وأجل من الأهل والمال والولد .. وهى مصر ..

لقد جاءنى أول خطاب عن قرب قدومك وأنا لاه عنك .

اننى أذكر تلـك الليلة من شهر نوفمبر ١٩٥٦ .. وكنت كعادتى أمضى سحابة النهار فى مبنى مجلس قيادة الثورة ، الى جوار الرئيس جمال ، مع بقية الزملاء .. حيث كنا نتلقى الأنباء ونضع أنفسنا تحت تصرفه .. وكنت أنصرف بعد ذلك الى مكتبى فى « جريدة الجمهورية » لكى أكتب مقالى .. وأظل حتى أقرأ آخر برقية من برقيات وكالات الانباء ..

وفى ذلك اليوم ، وعلى خلاف عادتى بقيت فى مبنى مجلس قيـادة الثورة .. وكتبت مقالى من هناك .. وأرسـلته الى الجريدة .. وبينما أنا أناقش بعض الزملاء اذ دق جرس التليفون فى غرفة نوم الرئيس جمال .. وكنت أنا المطلوب ، وأبلغنى أنك فى الطريق الى الدنيا يا بنى .. وأن والدتك تنتظر قدومك بين لحظة وأخرى ..

وصدقنى يا بنى .. اننى نسيت كل ما يتعلق بك بمجرد أن وضعت سماعة التليفون ، ورحت أكمل حديثى السـابق مع الزملاء .. فقد كنا نتناقش فى مختلف الاحتمالات التى قد يلجأ

اليها الأعداء ، بعد أن اتضحت نواياهم الحقيقية ، وهى تحطيم مقاومة الشعب المصرى كلية ، والقضاء على قواته المسلحة قضاء تاما .. وكانوا قد توسلوا بمؤامرة ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ المشهورة، لكى يحققوا هذه الأهداف .

وحين أيقظونى فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى، لكى ينبئونى بأنك أتيت الى عالمنا ، وانك ولد ، لم يغير هذا الخبر من الأمر شيئا .. ولو أنه فى ظروف أخرى كان يمكن أن يكون حدثا خطيرا . فستعلم يا بنى اننا نحن الفلاحين نعتبر ولادة الولد انتصارا .. لا لشيء الا لأنه ولد وليس بنتا .. ولعل هذه العادة موروثة عن أجدادنا العــرب ، الذين كانوا يحتفلــون بالولد ، ويتجاهلون البنت .. وقد نشأت فى قريتنا على هذه التقاليد .. ولو أنه قد يــكون لى رأى آخــر اليــوم ... الا اننى كأى فلاح فى قريتنا ، لا أستطيع الا أن أحترم تقاليد بيئتنا الساذجة الطيبة.. فهذه التقاليد هى عصارة تجاريب الأجيال .. وهى التى علمتنا السماحة وغرست فى نفوسنا اليافعة مبادىء الخلق ، والشرف والكرامة ..

الا أنه فيما يتعلق بك يا بنى .. فان المسألة فى نظر بيئتنا لها أهمية أخرى غير ما تمليه تلك التقاليد ، فقد ولدت يا بنى ، بعد أربع بنات هن إخواتك اللاتى يكبرنك ، وخامســة ماتت وهى طفلة .

فالأمر والحالة هذه كان يوجب الاحتفال بمقدمك يا بنى..

ولكننى على العكس من ذلك تماما ، لم أفعل شيئا أكثر من أن أشكر الطبيب الذى تولى أمرك .. وعدت الى سريرى بجريدة الجمهورية لكى أصيب بعض الراحة لما يأتى به الغد .

لم احتفل بك اذن يا بنى .. بل لم افكر لحظة واحدة فى هذا الأمر .. ولم احس أبدا بما يحس به كل أب فلاح جاءه ولد .. ليس لأن المناسبة كانت لا تستحق الاحتفال ، وليس لأننى آسوى فى عاطفتى بين البنت والولد ، ولكن الأمر كان أكبر واجل من كل ذلك ..

كان هناك أولا أبناؤنا وأطفالنا ، ونساؤنا ، ورجالنا ، الذين نفقدهم كل يوم بل كل ساعة فى بورسعيد ، وفى سيناء وفى غزة ، وفى جميع أنحاء مصر .. بفعل قنابل بريطانيا وفرنسا وأساطيلهما، مضافا اليها قنابل حلف الاطلنطى واساطيله وعتاده بأكمله :

**انور السادات**

# الفصل الأول

* عمك جمال وأسلحة حلف الاطلنطى
* أقدم وثيقة لاعلان حقوق الانسان

## عمك جمال وأسلحة حلف الاطلنطى

حلف الاطلنطى يا بنى .. كان تنظيما انشأته أمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وجمعوا له دول غرب أوربا لكى يفرضوا حصارا على روسيا ، يكون من شأنه أن يبعث الراحة فى أعصاب البعض التى تمزقها كلمة الشيوعية ويكون من شأنه أيضا أن تعيش بريطانيا وفرنسا على أموال أمريكا ، وصدقاتها ،وحمايتها بعد أن خرجت هاتان الدولتان من الحرب الثانية مفلستين وضعيفتين ..

ولقد كان من الممكن أن تعيش بريطانيا وفرنسا على أموال أمريكا وحمايتها عيشة شريفة . ولكن هاتين الدولتين على ماتعودتا عليه ، لن تستطيعا أبدا العيش بشرف .. فانه ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، حتى راحت بريطانيا وفرنسا تطبقان أحط أساليب الاستعمار ضد الشعوب الصغيرة ، بقصد السيطرة على مواردها وحرمانها من ممارسة سيادتها .. واستخدمت الدولتان فى ذلك دولارات أمريكا وأسلحة أمريكا ، عن طريق حلف الأطلنطى من جهة .. ومن جهة أخرى استخدمت هاتان الدولتان السارقتان ، اسم أمريكا ونفوذها ،وتأييدها ، فى المجال الدولى عن طريق هيئة الأمم المتحدة ، لكى يجعلا من شريعة الغاب دستورا للمعاملات فى هذا العالم ..

معذرة يا بنى .. ولكننى اريد ان اقول لك أن أسلحة هذا الحلف ، وأساطيله ، وطائراته ، ودباباته ، هى التى كان مقدرا لها أن تفتك بقوات مصر المسلحة تحت ستار اسرائيل ، لولا يقظة جمال عبد الناصر الذى أصدر أوامره بسحب قواتنا من سيناء ، وتوحيد الجبهة فى اللحظة الحاسمة ..

اسلحة حلف الأطلنطى هذه هى التى جاءت الى مصر ، لكى تخلع عمك جمال عبد الناصر .. وتقضى على الثورة .. لكى تعود مصر من جديد مستعمرة ليس لبريطانيا وحدها ، هذه المرة ، وانما لبريطانيا وفرنسا واسرائيل ..

اسلحة حلف الأطلنطى هذه .. هى التى جاءت الى مصر لكى تقضى على القومية العربية ، وزحفها الصاعد المقدس ... فزعماء الغرب لم يكفهم أن يحصلوا على البترول ، ولا أن يستخدموا قناة السويس فى حرية وأمن ، وانما هم يريدون أن يستعبدونا ويذلوا رقابنا ، ويحصلوا أيضا على البترول ، ويملكوا القناة ، ويقضوا الى الأبد على كل وعى ، أو حرية ، أو استقلال ، فى دنيا العرب وفى مصر على وجه الخصوص ..

وكانت هناك ثانية معركة التحرر للشعوب الصغيرة ، التى كتب علينا فى لوح القدر أن نخوضها نحن فى مصر على الخصوص..

وتاريخ هذه المعركة فى مصر يا بنى قديم ومجيد .. بدأ قبل أن أولد ، وقبل أن يولد جدك ، بل قبل أن يولد جد جدك ..

تاريخ طويل كتبه آباؤنا واجدادنا بدمائهم عبر القرون .. وكان كل جيل يسلم الأمانة الى الجيل الذى يليه ، وتصميم

شعبنا فى كل مرحلة صلب لا يلين . . ان كل معركة خاضـها شعبنا ، كانت تزيده تصميما على تصميمه .. وكل دماء سالت من الأحرار على ارضنا ، كانت تغذى شجرة الحرية التى تمـد ظلالها اليوم على وادينا الأخضر من أقصاه الى أقصاه ..

لم يستسلم شعبنا أبدا يا بنى للغزو الأجنبى ، ولا للطغيان .. وحين كان يغلب هذا الشعب على أمره من قوى متفوقة عليه ، كان يعمد من فوره الى المقاومة الشعبية فى تصميم واصرار ، حتى ينتصر فى آخر الأمر على أعدائه ..

وكما كانت لشعبنا فى الماضى السحيق حضارة ومدنية ، تنطق الى يومنا هذا بأروع انتصارات بناءة فى العلوم ، والفنون ، والهندسة ، والبناء ، والطب ، والفلك .. فان تاريخنا فى ماضينا القريب ، يسجل لهذا الشعب سـجلا حافلا بالكفاح من أجل القيم البشرية التى يظن البعض فى الغرب بأنهم حماتها ، وهم الذين داسوها فى الماضى ، ويدوسونها كل يوم فى وقاحة ، وبلا أدنى خجل او حياء ..

## أقدم وثيقة لاعــلان حقوق الانسان

ففى سنة ١٧٩٥ الميلادية أى منذ مائة وستين عاما من يومنا هذا ، حين كانت دول كثيرة من التى تطلق على نفسها دولا كبرى أو عظمى اليوم ، لا تزال شعوبها تجهل القيم الحضارية والحقوق الأساسية للانســـان ، كان الشعب المصرى يفرض ارادته على حـكامه ، فى وثيقة أجمع المؤرخون المصريون والأجانب على أنها بحق ، وثيقة اعلان حقوق الانسان ..

فى سنة ١٧٩٥ قرر الشعب المصرى ما يأتى :

١ ـ ألا تفرض ضريبة الا اذا أقرها مندوبو الشعب .. .

٢ ـ أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .

٣ ـ أن لا تمتد يد ذى سلطان الى أى فرد من أفراد الأمة الا بالحق والشرع ... .

وذهب الشعب الى أبعد من ذلك فأجبر حكامه فى ذلك الوقت على الاعتراف فى هذه الوثيقة بخطئهم وانهم « تابوا ورجعوا .. »

واليك يا بنى القصة كما يرويها الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المصرى الكبير :

« فى أوائل شهر ذى الحجة من عام ١٢٠٩ هجرية ( ١٧٩٥

ميلادية ) جاء رجال من بلبيس الى المشايخ فى الأزهر يشكون الظلم ، وتقابلوا مع الشيخ الشرقاوى يعلنون سخطهم من الضرائب الباهظة ، والاستبداد الجاهل . واستشعر الشيخ الشرقاوى أن الشعب جاد فى سخطه كل الجد ، وأن النفوس تغلى غليانا مكبوتا لا تؤمن نتائجه .. واستشعر فى نفسه تلكم المسئولية الدينية ، والوطنية اللتين اشتهر بهما رجال الدين فى ذلك العهد فلم يحاول أن يهدىء من نفوس هؤلاء الثائرين ، ولم يحاول أن يقول لهم انهم أولوا الأمر ، لم يثبط ارادتهم .. وانما اشعل جذوتهم ، وأحسن توجيههم . .

غضب الشيخ لكرامة الشعب .. فتوجه الى الأزهر ، وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وأمروا الناس بترك الأسواق والجوامع والمتاجر .. وركب الشيخ فى اليوم التالى وخلفه خلق كثير ، الى منزل الشيخ السادات .. وكان منزله قريبا من منزل ابراهيم بك شيخ البلد ، الذى لم يلبث حين رأى هذا التجمع أن أرسل مندوبا عنه ـ هو أيوب بك الدفتردار ـ الى العلماء ، وهم قادة هذا الجمع الشعبى .. ووقف المندوب بين أيديهم يسألهم عن مرادهم فقالوا :

نريد العدل الذى لا تقوم حياة بدونه ..

وابطال الحوادث ، والمكوسات .

ونريد رفع الظلم الذى هو أساس الهوى الى الحضيض ..

ونريد ازالة الجور لأن الجور مرتعه وخيم ..

نريد اقامة الشرع لأنه شرع الله وقد آمنا به ..

ونريد ابطال الحوادث واقرار الأمن ..

كما نريد رفع المكوسات .. لأن الضريبة بغير استئذان الشعب ، لا يمكن أن تكون شرعية ولا مقبولة بحال ..

وكانت ملحمة كلامية بين العلماء ومندوب ابراهيم بك شيخ البلد .. قال العلماء فيها كلمة الحق .. لأن الخوف من غير الله شرك جزاؤه الخلود فى النار ..

قالوا له : « ان الضرائب لا تحتمل » ..

وقال الدفتردار : « ان النفقات باهظة » .

قال العلماء : « وما الباعث على الاكثار من النفقات ، والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ ؟ »

وبلغ الأمر غايته .

وخشى ابراهيم ومراد حكام مصر وقتذاك مغبة الثورة .. فأرسلوا يسترضون العلماء ويستجيبون لمطالبهم ..

واجتمع الأمراء فى اليوم الثانى .. وأرسلوا الى العلماء يرجون حضورهم .. وكان ذلك فى منزل ابراهيم بك .. فحضر منهم الشيخ السادات ، والسيد عمر مكرم ، والشيخ الشرقاوى، والشيخ البكرى ، والشيخ الامير ، وكانوا جميعا من رسل الثورة وقوادها الظاهرين .. وطال الجدل بين الشيخ والامراء مرة أخرى ...

احتدم النقاش بين الشعب وحاكميه .. بين شعب أعزل الا من الايمان ، والتصميم .. وبين حاكم مسلح تعود الطغيان..

وأعلن الحاكمون انهم « تابوا ورجعوا » .. وأنهم « سيشدون على أيدى أتباعهم ، ليكفوا عن سلب أموال الناس » .

والأهم من كل ذلك : أن قاضى القضاة كان موجودا فى هذا

المجلس .. وأن وثيقة رسمية سجلت على الأمراء أمضاها الوالى العثمانى ، وأمضاها ابراهيم ومراد .

كان تسجيل هذه الحقوق فى حد ذاته معنى من أخطر المعانى فحقوق الشعب حقوق مشروعة .. ومطالبه مؤيدة .. وقاضى قضاة البلد مختص بتسجيل هذه المطالب .. ودمغ هذا الصك بالدمغة الرسمية والشرعية ، وهى وثيقة لحقوق الانسان كأقدم ما تكون الوثائق ، أعلنها شعب مصر منذ مائة وستين عاما ، ليفهم الناس عن هذا الشعب غير الذى يحاول المستعمرون وأذنابهم أن يبقوه فى الأذهان ، وليدرك العالم أن مصر العظيمة فى القديم ، كانت هى هى مصر البارة بالانسانية ، والحريصة على كرامة الفرد ، فى تاريخها الحديث ..

ان سطور هذه القصة الساذجة لتعكس يا بنى روح شعب مصر الوادع الصبور ، المكافح .. وتعكس فى نفس الوقت مدى فهمه منذ القدم للمعانى ، والقيم الانسانية ..

فمبدأ عدم فرض الضريبة الا اذا أقرها مندوبو الشعب ، وهو الذى نادى به شعب مصر عام ١٧٩٥ وأرغم حكامه على التسليم به ، هو أروع دليل على ما لشعب مصر من وعى ديمقراطى أصيل منذ القدم .. وعى ليس مفتعلا ولا مدسوسا، وانما هو وعى من صميم البيئة المصرية التى ورثت على مر الأجيال والسنين ، تقاليد حضارات مجيدة .. كانت كلها حضارات علم وبناء وعمران ..

وانظر يا بنى الى الحوار الذى حوته هذه القصة ، والذى دار بين ممثلى الشعب وممثل شيخ البلد الحاكم .. ان الثورة الفرنسية كلها لتتضاءل أمام المغزى العميق لهذا الحوار ..

فلقد أسفرت الثورة الفرنسية عن مبادىء ثلاثة هى ،

الحرية والاخاء ، والمساواة ، لم تلبث أن أصبحت فى فرنسا ذاتها وأثناء الثورة الفرنسية نفسها شعارا للقتل والتدمير بين الفرنسيين الثوار أنفسهم .. ثم ما لبثت هذه المبادىء ، أن صدرتها فرنسا الى الخارج على صورة استعمار خبيث يفتك بالشعوب البريئة ، ويسلبها أرزاقها .. ويقتل النساء ، ويفتك بالاطفال ، ويغتصب الأرض ، ويجعل من الانسان شيئا أحط من الحيوان .. كل هذا باسم الحرية والاخاء والمساواة ..

قارن هذا يا بنى بوقفة شعب مصر عام ١٧٩٥ وهو يقرر فى الحوار البسيط ، أخطر وأعظم المبادىء التى تحفظ لهذه البشرية قيمتها ، وللانسان حقوقه وكرامته ..

ان العدالة الاجتماعية التى لم يعرفها العالم الا حديثا ، قررها شعب مصر فى حواره الساذج مع حكامه ، حين اشتكى ممثلو الشعب من فداحة الضرائب .. فرد الدفتردار ان النفقات باهظة .. فكان رد الشعب :

« وما الباعث على الاكثار من النفقات والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ »

اتعرف يا بنى ماذا تحويه هذه العبارة الهادئة المرسلة فى غير تكلف ولا غرور .. ؟

انها تعنى أن الأمير أى الحاكم فرض عليه أن يرفع عن كاهل رعيته الأعباء ... فلا يكلفها من النفقات الباهظة ما لا تطيق ... وأن الحاكم لا يستحق تأييد شعبه ، الا اذا كانت سياسته هى العطاء أى توفير الحياة الكريمة لجميع أفراد هذا الشعب باعطائهم حقوقهم ، واعطائهم فرصا متكافئة فى الحياة .. واعطاء الشعب نصيبه العادل فى أمواله وميزانيته .. فلا يستأثر لنفسه ، ولا لحاشيته ولا لفئة دون فئة بما يكون ملكا لهذا الشعب

وهل تكون العدالة الاجتماعية غير هذا المعنى .. ؟ أو هل تفسر العدالة الاجتماعية بغير هذا التفسير ..؟

معذرة يا بنى فقد أكون قد أطلت عليك .. ولكننى كان لا بد لى أن أذكر لك شيئا عن تاريخ بلادك التى قدر لها أن تحمل عبء معركة التحرر عن الشعوب الصغيرة فى أيامنا هذه ..

واردت أن اربط ماضينا بحاضرنا ، قبل أن أروى لك عن المعركة التى شغلتنى عنك ، وألهتنى عن قدومك ..

فكما قلت لك يا بنى .. كتب علينا لوح القدر ان نخوض نحن فى مصر معركة التحرر باسم جميع الشعوب الصغيرة .. ومن سخرية القدر أيضا ، ان بعض حكام هذه الشعوب الصغيرة لا يجهل هذه المعركة فحسب ، وانما هم يحاولون تضليل شعوبهم فى هـذه المعـركة الفاصـلة فى تاريخ البشرية ، ومع ذلك فنحن مصرون على تحقيق أهدافنا لا من أجل الشعب المصرى وأمتنا العربية فقط وانما من اجل الشـعوب الصغيرة المغلوبة التى تؤمن بالمثل التى نؤمن بها ، المثل التى حارب من أجلها آباؤنا وأجدادنا ، فى تصميم وايمان .

اننا نخوض هذه المعركة منذ طفولتنا يا بنى ، ولا تعجب لقولى ، فقد نشأنا فى جيل كان كل ما يحيط به هو المتناقضات .

والسنين التى عشتها فى القرية قبل أن أنتقل الى المدينة يا بنى ، ستظل بخواطرها وذكرياتها زادا يملأ نفسى ووجدانى بالصفاء والايمـان ، فهناك تلقيت يا بنى أول دروس فى هـذه الحياة ..

تعلمتها على يد الأرض الطيبة السمحة ، التى لا تبخل على الناس بالزرع والثمر ..

وتعلمتها من سماء قريتنا الصافية المشرقة ..

تعلمتها فى ظل الجميزة الخضراء الصامدة ، وعلى أغصان لصفصافة الخجول الوديعة ..

تعلمتها على حافة الجدول الصغير ، الذى ينقل الى الحقول ترياق الحياة فى رضى وقناعة ..

تعلمتها فى ظلال الأمسيات البريئة مع زملائى من شباب القرية ، ونحن نلعب تحت ضوء القمر فى شوارع القرية الساكنة الهاجعة ..

وتعلمتها أيضا على أستاذى الحبيب .. جدتى ..

# الفصل الثانى

* سأحكى لك عن جدتى
* نفس الهدف
* الماضى يعود

## ساحكى لك عن جدتى

ان أول ما تفتحت عليه عينــاى يا بني في بلدتنا .. هو ذلك الحديث الهامس ، الذى كانت تحكيه لى جدتى ـ لوالدى ـ كل ليلة ، قبل النوم .. وهو الحديث الذى كنت أعيش عليه طوال يومى ، في انتظار قدوم الليل ..

وقبل أن أحكى لك عن أحاديث جدتى .. اريد ان أحكى لك عن جدتى نفسها يا بنى .. وهى تلك التى علمتنى كل شيء .. ولم تبخل على عقلى وروحى بأى شيء ..

فقد تركنى والدى أنا وأخى الاكبر ، فى رعاية جـدتى .. لأنه كان يعمل موظفا بالسودان .. وكانت جدتى رحمها الله ، لا تتولى امرى انا واخى فقط ، وانما كانت أيضا تقوم على أمر العائلة بأكملها .. وعلى زراعة المساحة الصغيرة من الأرض التى تمتلكها العائلة ..

ولقد كانت رحمها الله ، امية لا تقرأ ولا تكتب .. ومع ذلك فقد كانت ذات فطـرة واعية ، وذكـاء وشخصية ، قلما يجدها الانسـان اليوم فيمن تعلموا ، وتثقفوا أحسن الثقافات ..

لقد كانت الحياة هى المدرســة التى تلقت عليها جـدتى الثقافة .. لذلك كانت تصرفاتها كلها سديدة .. فلا عجب

أن كنت أرى الرجال يقصدونها للنصيحة والرأى · وهى فى كل ما تشير أو تنصح رزينــة الحجة ، ثاقبة البصر ·· تعرف للنفس البشرية ضعفها ، وتلتمس الخير والوفاق فى حماس يدخل الدفء الى قلوب أهل القرية السذج الطيبين ··

وأحاديثها لم تكن للتسلية فقط يا بنى .. وانما كانت دروسا وعبرا ·

**كان الناس مفتونين بعرابى**

أول ما حدثتنى يا بنى ·· كان ذلك عن عمهـــا الذى كان ضابطا فى الجيش المصرى ، أيام ثورة عرابى سنة ١٨٨٢ التى انتهت بالاحتلال البريطانى لمصر فى تلك السنة ..

اننى أذكر كيف كانت تحكى لى ، وفى عينيهـــا بريق وحماس عجيبان ..

فقد فوجئت القرية الوادعة فى يوم بدخول فارس على جواده ، يركض فى سرعة رهيبة ، ثم لم يلبث أن احتوته القرية·

وكان الناس وقتذاك مفتونين بعرابى .. ذلك الضـــابط المصرى الفلاح ، الذى تحدى الخديو التركى ، من أجل الضباط المصريين .. ثم من أجل اقامة حياة ديمقراطية ، يتولى فيها الشعب أموره بنفسه .. وكانت دعواتهم له بالنجاح حارة .. ومن كل قلوبهم خاصـــة ··· وأنهم عرفوا أن الخـــديو الخائن قد استنجد بالانجليز الأجانب ..

وحين دخل هذا الفارس فى سرعته الرهيبة .. اندفعت الجموع من خلفه ·· خاصة وأنه كان يرتدى ملابس الضباط ·

## من هو الفارس ؟

وكانوا جميعا فى شوق الى سماع الأنباء عن جيشهم الذى يحارب من أجلهم .. وعن عرابى بطلهم . وأخذوا يندفعون من شارع الى عطفة ، ومن عطفة الى حارة ، وراء ذلك الفارس الجامح .. وفى كل لحظة ، ينضم اليهم فوج جديد ، بحماس جديد .. الى أن فوجىء هذا الجمع بالحصان والفارس وقد سقطا على الأرض فى منعطف ضيق .. وكان الحصان من فرط لهثه وتعبه ، يرقد ممددا على الأرض ... والفارس ملقى الى جواره ، ودماؤه تنزف بغزارة .

وعلى الفور تعرف الناس على الضابط الفارس .. وهو ابن بلدهم .. وقد كان على قيد خطوات من منزله . . فنقلوه اليه ..

أما الحصان فانه لم يلبث أن مات بعد دقائق قليلة .

كان الفارس كما روت جدتى .. هو عمها .. الذى كان يعمل ضابطا فى سلاح الفرسان فى الجيش المصرى .

وقد روى للأهل والأصدقاء قصته ، بعد أن ضمدوا له جراحه ، ورشوا وجهه بالماء ..

وكانت قصته .. هى قصة الجيش المصرى الذى قاتل فى الاسكندرية ، وكفر الدوار ، سنة ١٨٨٢ بقيادة عرابى .. وصد الغزاة الانجليز .. وعندئذ تحولوا الى قناة السويس ، فدخلوا منها بالتآمر مع ديلسبس .. وتسللوا بالخيانة والغدر الى مصر ، فى الوقت الذى كان ديلسبس يطمئن فيه عرابى بأن القناة لن تستخدم فى غزو مصر .. مما جعل عرابى يعدل عن تعطيلها ، احتراما منه لكلمة ذلك الأفاق ..

ومن سخرية القدر يا بنى .. أن نفس المشـــهد يتكرر بعد مرور أربع وسبعين سنة .

فان الاحتلال البريطاني الذى بدأ ســنة ١٨٨٢ كان قد انتهى على يد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ باتفــاقية الجلاء التى وقعت فى ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وانتهى جلاء آخر جنــدى بريطانى عن أراضينا يوم ١٨ من يونيو سنة ١٩٥٦ ، لـكن لم تمض ثلاثة اشهر على تحرير أرضنا ، حتى بدأت اسرائيل فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ عدوانها على مصر ، بالاشــتراك مع بريطانيا ، وفرنسا ، اللتين لم تلبثا أن بدأتا دورهما فى المؤامرة الدنيئة يوم ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ ..

## قصة انذارين رفضــناهما

ففى سنة ١٨٨٢ اتفقت بريطانيا وفرنسا على غزو مصر .. وأبحرت الأساطيل البريطانية والفرنسية فعــلا الى مصر . . ولكن بريطانيا على غير مألوف عادتها فى المكر والخيانة استطاعت أن تقنع الاساطيل الفرنســـية بالعودة ، لـــكى تنفرد بريطانيا بالفريسة .. وفعلا عادت المراكب الفرنســية من عرض البحر المتوسط .. وجاءت المراكب الانجليزية وحدها الى الاسكندرية .

وقصة الانذار الفاجر الذى أرسلته فرنسا وبريطانيا الى مصر يوم ٣٠ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ والذى وصـــفه عضو من أعضاء مجلس العموم البريطانى بانه « عمل قذر » ، هى نفس قصة الانذار الذى أرسل الى قيادة الجيش المصرى سنة ١٨٨٢ من الأســطول البريطانى المعتدى ، الذى كان يقف فى ميــاه الاسكندرية ..

ففى سنة ١٨٨٢ طلب الانجليز فى انذارهم نزع سلاح الطوابى التى كانت تحمى الاسكندرية .. والسماح لهم باحتلال المدينة ..

وفى سنة ١٩٥٦ طلب الانجليز فى انذارهم ، السماح لهم باحتلال بورسعيد ، والاسماعيلية ، والسويس .. وأشركوا معهم اسرائيل فى احتلال سيناء المصرية ..

وفى سنة ١٨٨٢ رفضت قيادة الجيش المصرى الانذار .. وبدأ القتال ..

وفى سنة ١٩٥٦ رفض الرئيس جمال عبد الناصر الانذار .. وأعلن أن مصر ستحارب الى آخر قطرة من دمائها ..

**نفس الهدف**

وفى سنة ١٨٨٢ كان هدف بريطانيا ، هو السيطرة على مصر .

من أجل الاحتفاظ بقناة السويس .

ومن أجل الاحتفاظ بالمركز الاستراتيجى الخطير الذى تقوم فيه مصر من هذا العالم ..

ومن أجل تثبيت دعائم الاستعمار البريطانى فى أفريقيا وآسيا ، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب ، لكى يبنى المجتمع البريطانى .. وينعم البريطانيون فى جزيرتهم بالملذات والسيجار ..

وفى سنة ١٩٥٦ كان هدف بريطانيا ، هو السيطرة على مصر ..

من أجل اعادة سيطرتها على قناة السويس ..

ومن أجل الاحتفاظ بالمركز الاستراتيجى الخطير الذى تقوم فيه مصر من هذا العالم ..

ومن أجل تثبيت دعائم الاستعمار البريطانى الذى أخذ ينهار بسرعة فى آسيا وافريقيا ، واعادة السيطرة على العرب الذين بعثت قوميتهم العربية فجأة كالمارد الجبار ، وأصبحوا يكرهون ويحتقرون بريطانيا وهيبتها المزعومة ..

ومن أجل محاولة امتصاص دماء الشعوب .. من جديد ، بعد أن تنبهت هذه الشعوب ... وأصبح الشعب البريطانى مهددا بالحرمان من الملذات والسيجار ..

ان ذلك هو الاساس فى المعركتين من وجهة نظر بريطانيا يابنى .. فالأصل واحد .. وهو الاستعمار الكريه المسعور ..

أما من وجهة نظر مصر فان الامر فى سنة ١٩٥٦ كان يختلف تمام الاختلاف عن سنة ١٨٨٢ .

ففى سنة ١٨٨٢ كان يحكم مصر الخديو توفيق بن عباس ، وكان هذا الرجل يتصف بالجبن والتردد ، فضلا عن كونه أجنبيا عن مصر (تركى) وعميلا لفرنسا وبريطانيا..فقد أجبرت بريطانيا أباه اسماعيل على التنازل عن العرش ، والرحيل عن مصر حيث استقر فى ايطاليا الى أن مات بها ، وجاءوا بهذه الدمية « توفيق » فنصبوه خديويا على مصر لكى يأتمر بأمرهم ، وينفذ مشيئتهم .

وقد أجمع المؤرخون على ضعف شخصية توفيق ، وتخاذله وارتمائه فى احضان بريطانيا وفرنسا ، من أول لحظة لدرجة انه كان لا يبرم أمرا من أمور الدولة الا والقنصلان الفرنسى والبريطانى عن يمينه وعن شماله .

وعندما اقتحم عرابى باسم الجيش المصرى سراى عابدين سنة ١٨٨٢ لكى يقدم طلبات الجيش المصرى والشعب ، وجد الى جانب الخديو القنصل البريطانى سير ادوارد ماليت ، وسجلت الى يومنا هذا صورة عرابى وهو يناقش الخديو والى جانبه القنصل البريطانى .

## عمك المصرى العربى

أما فى سنة ١٩٥٦ فانه يحكم مصر يا بنى عمك جمال عبد الناصر .. وهو المصرى العربى ..

فهو من بلدة أسيوط فى صعيد مصر ومن قبيلة « بنى مر » العربية ، وقد تكون لحمه هو واجداده من تراب مصر ، وامتلأت عروقه بالدماء الحارة من نيل مصر ..

وجمال عبد الناصر ، عمك يا بنى الذى سميتك على اسمه ، وصديقى ، ورئيسى ، الذى احبه واحترمه منذ ان كنا ضابطين صغيرين فى منقباد سنة ١٩٣٨ .

عمك جمال هذا يا بنى ، يمتاز بالاقدام ، والايمان بمصر ، واستقلالها ، وكرامتها ايمانا صلبا عنيدا ، كنت المسه منذ حداثتنا فى معاملته لنا نحن أصدقاءه ، وفى معاملته أيضا للضباط العظام الذين كانوا رؤساءنا .. وفى معاملته لأفراد البعثة البريطانية التى كانت مفروضة على جيشنا ..

## الفلاحون العبيد

وفى سنة ١٨٨٢ كان الشعب المصرى يعانى من الخونة المأجورين ، فقد كان هناك فى الجيش ضباط أتراك وأرناءوط لا يحسون باحساس مصر ، بل يعتبرون أنفسهم من طينة الخديويين الحكام .. أما الشعب فكانوا يصفونه بالفلاحين عبيدهم .. وقد

كانوا يطلقون على عرابى « الفلاح » لأنه مصرى • ولم تكن مناصب القيادة من حق الضباط المصريين ، ولا كان من حقهم أيضا الحصول على رواتب مثل غيرهم من الضباط الأجانب •

أما من ناحية الشعب ، فقد كانت المناصب والحكم وقفا على الأتراك والأجانب من دون المصريين « الفلاحين » وكان السياسيون الذين يتقلدون المناصب ، من هؤلاء الخونة الاجانب عن الشعب •• أما أبناء البلاد ، فلم يكن لهم صوت أو نصيب فى أمور بلادهم •

وحين قررت الجمعية التشريعية المصرية أن تمارس سلطاتها كاملة باسم الشعب فى الرقابة على الحكومة ، والميزانية ومقاومة التدخل الاجنبى من فرنسا وبريطانيا الذى كان يتمثل فى اشراف ثنائى على مالية مصر كان هو الخطوة الاولى لفرض استعمارها ، أوعز قنصلا فرنسا وبريطانيا الى الخديو توفيق « الدمية » بتعطيل هذه الجمعية والغائها •• ثم تلا ذلك التدخل العسكرى سنة ١٨٨٢ •

وبريطانيا وفرنسا هما أصحاب نظرية الديموقراطية ومن أقطاب ما يسمى بالعالم الحر •

أما فى سنة ١٩٥٦ فان الشعب المصرى لم يكن من بينه خائن ولا عميل ••

فانه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تطهرت الحياة السياسية من الزعماء والاحزاب الذين نشأوا فى أحضان الاحتلال البريطانى •• وبعد ثلاث سنوات تمكنت الثورة من تحقيق المبدأين الاول والثانى لها وهما :

- القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة ••
- القضاء على الاقطاع •

ولقد تم القضاء على الاقطاع بعد أن أنهت الثـورة حكم أسرة محمد على وأعلنت الجمهورية ..

وتم القضـاء على الخونة بعد أن قضـت الثورة على الاقطاع وعندئذ سهل القضاء على الاستعمار الاجنبى بعد أن فقد أعوانه من الخونة داخل البـلاد ، ومن الحكام من أسرة محمد على الاجنبية وبطانتهم وأتباعهم ..

ان الاستعمار لا يعيش أبدا يابنى الا على الخيانة ، والاقطاع ، والحـكام الذين يبيعون أنفسهم وبلادهم لقـاء المنفعة والجـاه والسلطان .

**الايدى الاجنبية العابثة**

وفى سنة ١٨٨٢ كانت مصائر شعبنا فى أيد أجنبية تعبث بها كيف تشاء .

فمن الوجهة القانونية كانت مصر ولاية عثمانية تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى ولكن الواقع كان أسـوأ من ذلك بكثير فشعبنا فى صراع مع الطغاة والمستعمرين والطـامعين ، منذ فجر التاريخ ..

ان المعركة التى انتهت فى بورسعيد بهزيمة فرنسا وبريطانيا معركة يرجع تاريخها الى نهاية القرن الثامن عشر حين جاءت فرنسا سنة ١٧٩٨ تغزو مصر فقد كانت أحلام السيطرة على مصر مفتاح الشرق صاحب الكنوز والخيرات تداعب نابليون الذى لم يلبث أن أغار على مصر .

أما بريطانيا .

فقد جاءت تغزو مصر سنة ١٩٥٦ بقصـد الاستيلاء عليها

لتحقيق الاغراض التى كانت تريدها فى سنة ١٨٠٧ ، وسنة ١٨٨٢ ، وهى تثبيت استعمارها الجشع ، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب ..

وقد كانت مصر فى القرنين الثامن والتاسع عشر ولاية عثمانية تابعة للامبراطورية التركية ، ولكن هذا لم يكن ليمنع فرنسا ولا بريطانيا من انتهاز كل فرصة للسيطرة على مصر ، بل ان تبعية مصر للامبراطورية العثمانية ، كانت تسهل لهما دائما تحقيق الاطماع فى السلم والحرب على السواء ..

**الماضى يعود**

وكأنما يعيد التاريخ نفسه يابنى سنة ١٩٥٦ ، فان الاساطيل الفرنسية البريطانية التى أغارت على بور سعيد ، كانت تحتمى فى الموانى التركية ، لكى تتجنب عيوننا التى كانت مفتحة على قبرص حيث كانت توجد قواعدهم .. تماما كما كانت تحتمى بريطانيا بالخليفة العثمانى لكى يصدر لها الاوامر الى مصر بتنفيذ كل ما تريده هى وفرنسا .

بل وأكثر من ذلك ، فان بلاط الخليفة العثمانى صاحب الولاية على مصير شعب مصر كان يخضع تماما لاوامر بريطانيا وفرنسا ومشورتيهما فى كل ما يتعلق بمصر . وكانت ولاية هذا الخليفة على مصر اسمية فقط ..

أما الحقيقة فكانت هى أن مصير شعب مصر ، كان دائما رهنا لاشارة ونصائح بريطانيا وفرنسا .

والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة عبر التاريخ ..

وكانت بريطانيا وفرنسا تلجآن فقط الى استعمال القوة

مجتمعتين اذا كانت مشورتهما لا يؤخذ بها ، أو يفقدان سيطرتهما على مصر من خلال الخليفة العثمانى ، كما حدث فى موقعة نفـارين •• وفى سنة ١٨٨٢ حينما ارسلت الدولتان أساطيلهمـا تخلف الاسطول الفرنسى من عرض الطريق ، وكمل الاسطول الانجليزى المهمة لحساب بريطانيا ••

أما فى الحالات التى كانت تلجأ كل دولة منهما الى استعمال القوة منفردة بقصد السيطرة على مصر كما حدث فى سنة ١٧٩٨ بالنسبة لفرنسا ، وسنة ١٨٠٧ بالنسبة لبريطانيـا ، فقد كان ذلك يحدث دائمـا نتيجة لخلاف بين الدولتين وتعـارض بين أطماعهما ••

## دور تركيا لم يتغير

تخرج من هذا يا بنى الى أن أطماع بريطانيا وفرنسا فى مصر قديمة وعميقة ولم يكن يحد منها أو يوقفها تبعية مصر للامبراطورية العثمانية •• بل على العكس من ذلك ، كانت هذه التبعية مما يمكن للدولتين احكام سيطرتهما على مصر •

فاذا اتفقت الدولتان عملتا مجتمعتين ضد مصر ••

واذا اختلفت الدولتان عملتا كل على حدة أيضا ضد مصر ••

ودور تركيا فى كل الحالات ، وخلال القرنين الثـامن عشر والتاسع عشر ، هو نفس دورها فى سنة ١٩٥٦ فى خدمة الدولتين المستعمرتين ، وخدمة الاستعمار بصفة عامة •

## عملية الافقار

بل ان الامر تطور الى ما هو أشد بشـاعة من ذلك ، فان فرنسا وبريطانيا فرضتا علنا سيطرتهما على مصر فى النصـف

الثانى من القرن التاسع عشر بحجة الدين الذى أقرضـوه للخديو اسماعيل ، وكانوا يستغلون فى ذلك سفه ذلك الخديو واستهتاره ، فأوعزوا الى المرابين من فرنسا وبريطانيا باقراضـه المال بالفوائد الجسيمة ، حسب خطة منظمة ، انتهت بأن أفلست الخزانة المصرية ٠

ففرضت الدولتان سيطرتهما عن طريق ما سمي بصـندوق الدين الذى كانت له الولاية ليس على مالية مصر وحدها ، وانما على مصير الشعب المصرى سياسيا واقتصاديا ، واجتماعيا ٠٠

وبدأت منذ ذلك الوقت عمليـة افقار هذا الشعب وتأخيره ومنعه من العلم والتقدم ، على يد بريطانيا وفرنسا ، بعد أن كانت تتم قبل ذلك على يد تركيا العثمانية ٠

وهكذا كانت مصائر الشعب المصرى ملكا للعابثين الأجانب فى فرنسا وبريطانيا ، وحليفتهما تركيا سنة ١٨٨٢ ٠

## تغير الحال

أما فى سنة ١٩٥٦ فان الحال بالنسبة لمصر كان قد تغير على صورة حاسمة لم يحاول أن يفهمها أولئك المستعمرون فقد أخفى الجشع والغدر الحقائق عنهم ٠

فمصائر شعب مصر لم تعد فى يد بريطانيا ولا فرنسا ولا تركيا ٠٠ ولا الثلاثة مجتمعين ، وانما عادت لصاحبها شـعب مصر ٠

فانه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تغير وجه التاريخ الى الأبد بارادة الشعب ، ونظرة واحدة الى مبادىء الثـورة يا بنى

التي نبتت من صميم قلب كل مصرى ، بعد ذلك التاريخ الطويل من المظالم والسيطرة الاجنبية ، تعطيك الفكرة الصحيحة عما حدث فى مصر يابنى ... وكيف عادت السيادة على مصر الى يد شعب مصر ..

ان هذه المبادىء التي سجلها الشعب فى دستوره الذى اصدره فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ هى :

١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة ..

٢ ـ القضاء على الاقطاع .

٣ ـ القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم .

٤ ـ تطبيق العدالة الاجتماعية .

٥ ـ اقامة جيش وطنى قوى .

٦ ـ اقامة حياة ديموقراطية سليمة .

وهكذا حدد الشعب المصرى أهدافه يا بنى .. وبدأ معركته ضد أعدائه فى ايمان ، وتصميم ، وعنف . ولم تمض سنوات ثلاث ، حتى كانت الانتصارات تتحقق لهذا الشعب ، وحتى أخذت عجلة الثورة تطحن فى طريقها كل العقبات ..

ولم يكن الطريق سهلا ولا ممهدا يا بنى ..

فاننا لم نكن نواجه العقبات فقط من الرجعيين وأنصار الحكم الفاسد ..

وانما واجهناها أيضا من داخل الثورة نفسها .. حينما خرج على مبادئها الجنرال محمد نجيب .. وهو الرجل الذى اخترناه أول الامر لقيادتها .. ففضل ان يتعامل مع الرجعيين أعداء

الثورة .. وكادت المسألة تنتهى بكارثة ، لولا يقظة عمك جمال عبد الناصر ..

وعمك جمال .. هو الذى أصر بادىء الامر على أن يتنازل عن قيادة الثورة لمحمد نجيب .. برغم أن عمك جمالا ، كان منتخبا رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، باجماع اصوات أعضاء مجلس الثورة ، من قبل أن تبدأ الثورة .. ومن بعد أن قامت ، وسأحكى لك القصة فى الفصول القادمة ..

ان تاريخ السنوات الاربع التى تلت قيام الثورة ، الى انتخاب عمك جمال رئيسا للجمهورية باجماع شعبى هائل ، هذا التاريخ يابنى .. هو ما سأرويه لك فى الفصول القادمة لكى تعرف انت والجيل الذى تنتمى اليه قصة الصراع الجبار بين الحق والباطل .. وبين المثل العليا والانحلال .. وبين شعب أعزل الا من الايمان بحقه وسيادته ، والاستعمار المتجبر المغرور بقوته وجبروته ..

وقد كان أول مبدأ من مبادىء الثورة .. هو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة فانه من المستحيل أن يتم أى اصلاح أو تقدم لشعب من الشعوب ، وهو يرزح تحت أعباء سيطرة أجنبية ، أيا كان لون هذه السيطرة .. والاستعمار على خبثه وكونه أفتك سلاح يدمر حياة الشعوب وأمنها ، وسلام العالم كله ، فانه يتطور أيضا فى أساليبه المجرمة شأنه شأن أى ظاهرة من الظواهر ..

وفى كل أسلوب يتخذ له اسما .. وتتعدد الاسماء والاساليب .. ولكن الهدف واحد .. هو الجشع وهو الفتك بالشعوب ، والجماعات .. واشاعة القلق والرهبة فى هذا العالم .. لكى ينزف المستعمرون دماء الابرياء فيقيموا عليها رفاهيتهم وملذاتهم ..

كان اسمه شركات أجنبية تحصل على امتيازات ..

وتطور الى احتلال عسكرى بالجنود والمعدات ..

ثم تطور الى حماية ..

ثم أطلقوا عليه انتدابا ..

وعادوا فقالوا وصاية ..

ويسمونه اليوم بالاحلاف ..

ولقد ابتلى شعبنا يا بنى فى فترات كثيرة ، بأشد هذه الاساليب فتكا وتدميرا .. على يد بريطانيا وفرنسا فى تاريخنا القريب ..

عرفنا الحماية على يد بريطانيا ..

وعرفنا الاحتلال أيضا على يد بريطانيا ..

وعرفنا الشركات الاجنبية التى تحصل على امتيازات ، فتصبح دولة ذات سيادة داخل الدولة ، على يد بريطانيا وفرنسا كشركة قناة السويس المصرية .. وهى التى اتخذت بريطانيا وفرنسا تأميمها ذريعة للهجوم على مصر ، من أجل تحقيق أهداف الاستعمار والسيطرة التى قضت عليها الثورة نهائيا فى سنوات قليلة بالنسبة لمصر ، وبالنسبة لامتنا العربية على حد سواء ..

ان قصة هذا العدوان الذى قامت به فرنسا وبريطانيا واسرائيل على مصر بتدبير دنىء غادر تحت ستار شركة قناة السويس ، لم تعد قصة كفاح الشعب المصرى وحده ، وانما أصبحت ملكا لكل الشعوب الصغيرة التى ابتليت بالاستعمار وتكافح من أجل التحرر .

انها أصبحت قصة فضيحة أولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم بالكبار .. فعرف العالم كله انهم كبار فى الاجرام والغدر ، والخيانة .. وكبار فى أساليب النذالة ، وهدم البيوت على الآمنين وقتل النساء والفتك بالاطفال .

انها قصة من كانوا يسمون أنفسهم بزعماء العالم الحر .. فعرف الناس أن الحرية فى نظرهم هى :

التحرر من كل مبادىء الشرف والعدالة .

والتحرر من القيم الاخلاقية ..

والتحرر مما تحرص عليه البشرية الى يومنا هذا ، من قيم انسانية تحفظ على الناس انسانيتهم ، فلا ينحطون الى مرتبة الحيوان ..

عرف العالم كل هذا يابنى عن زعماء ما يسمى «بالعالم الحر» بعد معركة سنة ١٩٥٦ فلم تكن هناك قوة تستطيع أن تخفى هذه الحقائق عن الشعوب ..

وعرف العالم أيضا عن مصر .. أنها صدت تيار البربرية التى ارادت أن تعود بالعالم الى شريعة قطاع الطرق وحكم الغاب .. ليس عن نفسها فقط وانما عن كل الشعوب الصغيرة كما خط فى لوح القدر ..

كيف حدث هذا ؟ ..

اننى أكتب لك يابنى هذه الصفحات وأنا أحس اننا نعيش اليوم فى فترة تطور حاسمة من تاريخ العالم ، لن تراها يابنى .. ولكنك ستقرأ عنها .. وسيتخذ منها المؤرخون ، نقطة انطلاق تسجل بدء تاريخ جديد لهذا العالم .. تاريخ جديد فى كل شىء ..

واخطر شيء في هذه الحقبة .. هو أن الشعوب اليوم ، هي التي تملي هذا التاريخ وتكتبه بارادتها ، وكفاحها ودمائها .. بعد أن كان يكتبه أولئك الكبار بالقهر والسلب لارادة الشعوب ..

ولن تستطيع قوى أولئك الكبار بعد اليوم ، ان تقهر ارادة الشعوب ثانية ، مهما كانت هذه القوى ..

لقد استيقظت الشعوب .. وحطمت ذلك الستار الحديدي الذي فرض على حدودها وعلى ضمائرها ، وعلى أرزاقها ومقدراتها ..

وأصبحت الشعوب لا تؤمن بغير التعايش السلمي ، من غير أن يتدخل احد في شئون الآخر او يسلبه رزقه أو أرضه ..

عالم تختار فيه الشعوب ما تريده لنفسها من نظم بملء حريتها ..

عالم لا تحرق فيه المحاصيل في بلد ، ويموت من الجوع الملايين في البلد الآخر ..

عالم لا يفرق بين الجنس أو اللون أو العقيدة .. ولا يعترف بسيادة لون أو جنس على الآخرين ..

عالم لا يرث أحقاد القرون الماضية التي فتكت بالبشرية وسببت الحروب ..

عالم يستأصل الاستعمار من جذوره .. لأنه وراء الاحقاد والشرور والحروب والقلق الذي يشقى الانسان .

كيف حدث هذا يابني ؟ ..

# الفصل الثالث

* كيف حدث هذا يا بنى ؟
* ثورة ٢٣ يوليو والثورات الأخرى
* شخصية عمك جمال

## كيف حدث هذا يابنى ؟

لم اتوقع ان امسك بقلمى لكى اسطر لك هذه الكلمات وعمرك على الارض لم يتجاوز الشهرين ..

ولقد حدثتك ياولدى في الفصل السابق من المذكرات عن أسلحة حلف الأطلنطى التى جاءت مصر لتخلع عمك جمال ، وسردت لك تاريخ أقدم وثيقة لاعلان حقوق الانسان وقد كتبت فى مصر .

وحدثتك عن الدروس القاسية التى تعلمتها فى القرية .. وجدتى ، والمشهد الذى تكرر بعد أربعة وسبعين عاما ، وقصة الانذارين اللذين رفضناهما .

وقلت يا ولدى ان الطريق لم يكن سهلا ولا ممهدا .. لاننا كنا نواجه عقبات من الرجعيين .. ومن داخل الثورة نفسها .

وذكرت لك ياولدى كيف خرج الجنرال محمد نجيب على مبادىء الثورة .. وهو الرجل الذى اخترناه اول الامر لقيادتها .. ولكنه ياولدى فضل ان يتعامل مع اعداء الثورة .. وكادت المسألة تنتهى بكارثة لولا يقظة عمك جمال عبد الناصر .

وقلت لك يابنى اشياء كثيرة .. وحدثتك عن العالم الذى لا يرث أحقاد القرون الماضية والقلق الذى يشقى الانسان .

كيف حدث هذا كما قلت لك في نهاية الفصل السابق يابنى؟

هذا ما سأرويه لك الآن ، ولن تكون روايتى تاريخا او مذكرات وانما هى كما قلت لك احساسات وانفعالات هى اقرب ماتكون الى الذكريات منها الى المذكرات ..

فلكى تستطيع ان تعرف ماحدث ، يجب ان تلم يا بنى بأمرين ، الأمر الأول هو ثورة ٢٣ يوليو ، والأمر الثانى هو شخصية عمك جمال عبد الناصر ، وسترى يابنى ان الحديث عن الثورة واهدافها واحداثها طوال الفترة التى انقضت منذ بدئها في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الى هذا اليوم الذى اكتب لك فيه هذه الصفحات فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ ، أقول سترى يابنى أن الحديث عن الثورة لابد وان يعود بنا في كل صغيرة وكبيرة الى شخصية عمك جمال ، وسترى ايضا يابنى ان الحديث عن شخصية عمك جمال سيعود بنا دائما الى فطرة شعب مصر ومقوماته وخصائصه فى القرية والحقل كما هى فى المصنع والمدينة، هذه المقومات وتلك الخصائص التى هزمت بريطانيا وفرنسا واسرائيل وردت عدوانهم وهم الذين كانت لديهم احدث الاسلحة والادوات التى اعدت للحرب والخراب والدمار ..

### حديث شيق

ان حديث ثورة ٢٣ يوليو يابنى حديث شيق على مافيه من قسوة وشجي وبرغم مافيه من الوان الصراع ، صراع من قبل أن تبدأ الثورة فى الداخل ، وهو اليوم حديث العالم كله فى الخارج ..

وكما سبق أن قلت مرارا من قبل يابنى ، فان ثورة ٢٣ يوليو حدث تاريخى له شخصيته المستقلة تمام الاستقلال عن كل ما سبقه من ثورات مماثلة ، وله طابعه ومميزاته التى لن

يستطيع ان يدركها الا من عاش في البيئة المصرية او تعرف عليها عن فهم ودراسة .

وفى هذا القرن الذى نعيش فيه حدثت ثلاث ثورات كانت كلها تكاد تكون مؤدية بعضها الى البعض ، فبعد الحرب العالمية الاولى ، وعلى اثر الهزيمة التى منيت بها تركيا ، قام مصطفى كمال اتاتورك بثورته المشهورة لكى يجدد شباب تركيا ..

وايا كانت الوسائل التى اتبعها ، وايا كانت ايضا طريقة فهمه لبعث تركيا ، فان مصطفى كمال استطاع خلال فترة حكمه أن يرسى قواعد كثيرة لنهضة تركيا وقوتها واستقلالها الذى يفرط فيه حكام تركيا اليوم على صورة مؤسفة .

## ثورة موسولينى

وجاءت ثورة موسولينى في ايطاليا : الثانية في الترتيب بعد ثورة تركيا ، وهى قد قامت — اى الثورة الفاشستية الايطالية — عقب الهزيمة فى الحرب العالمية الاولى ايضا ..

والذى يهمنى في هذا المقام هو ماصرح به موسولينى مرارا واثبته المؤرخون من ان ثورة ايطاليا الفاشستية انما كانت نهجا من المدرسة الكمالية أى مدرسة كمال أتاتورك ..

ثم كانت الثورة الثالثة في المانيا بقيام هتلر ، وهو الذى لم يكن يخفى — على الاطلاق — اعجابه بموسولينى وثورته بل ان هتلر لايفتأ يعلن ان موسولينى هو استاذه الذى سار على نهجه وتتبع خطاه .

تخرج من هذا الاستعراض المبسط يا بنى بنتيجة هى ان هذه الثورات التى وقعت فى النصف الاول من هذا القرن انما كانت كلها من مدرسة واحدة .

## ثورة روسيا

ولكنك حين تأتى يا بنى الى ثورة ٢٣ يوليـو المصرية والتى وقعت في مستهل النصف الثانى من هـذا القـرن فانك تجـد عملا جديدا ، بل منفصلا تمام الانفصال عما سـبقه من ثورات وقعت من قبله فى نفس القرن العشرين ..

وهناك ثورة اخرى وقعت قبل تلك الثورات الثلاث يا بنى في نفس هذا القرن وخلال الحرب العالمية الاولى وهى الثـورة البلشفية في روسيا ولم اشأ ان اجملها من تلك الثورات الثلاث اللاحقة لها لانها مدرسـة قائمـة بذاتها فى وطن له ظروفه التى شكلتها محنه وآلامه ..

الا ان البـاحث يرى ويلمس يا بنى انه ما من شك فى ان هذه الثورات الثلاث على اختلاف ظروفها كانت تستهدف اول الامر مصلحة الشعوب التى قامت فيهـا ، ثم جاءت بعد ذلك الانحرافات ، ففشلت اثنتان هما الفاشستية في ايطاليا والنازية فى المانيا وتتعثر اليوم الثالثة فى تركيا .

## ثورة ٢٣ يوليو والثورات الاخرى

وأعود الى ثورة ٢٣ يوليو فأقول : ان هذه الثورة حدث جديد تماما يا بنى عمـا سبقه من أحـداث فى نفس القرن من عمر الزمان ، وأسباب هذا الاختلاف ترجع فى أساسها الى أن ثورة ٢٣ يوليو هى الاخرى مدرسة قائمة بذاتها استمدت كل مقوماتها من طينة شعب مصر وظروفه وعاداته وأخلاقه .

وسبب آخر أساسى له عمقه ومغزاه هو ان ثورة ٢٣ يوليو اتخذت من المثل العليا شعارا تمسكت به وحافظت عليـه برغم

ما سببه ذلك التمسك من تعويق لسير هذه الثورة واندفاعها في وقت من الاوقات •

ولنأخذ مسألة قيادة هذه الثورة على سبيل المثال ، فنحن لا نعلم فيما نعلم من تاريخ الثورات في هذا القرن أو فيما سبق من قرون ان قائد ثورة من تلك الثورات يتنازل عن مركزه كقائد بمحض ارادته ليدفع برجل آخر الى قيادة هذه الثورة ، ولا يكتفى بذلك بل يخدم تحت امرة هذا الذى دفعه جنديا شريفا مخلصا •

## عيوب مصطفى كمال

ان ما نعلمه عن تاريخ الثورات هو عكس ذلك على خط مستقيم ، فقد كان قواد الثورات ولا يزالون يخلون لانفسهم الطريق بالقتل والاغتيال والارهاب •

فالتاريخ يقرر مثلا ان من عيوب مصطفى كمال أتاتورك المشهورة هو انه لم يبق على زميل أو صديق عاونه الا وقتله •

والتاريخ يذكر أيضا حمام الدم الذى خاضه هتلر بنفسه وبيده •

وموسولينى أيضا لم يمتنع عن القتل الا حين قتل •• !!

## وجهة نظر الجيش كله

أما فى هذه الثورة ــ ثورة ٢٣ يوليو يابنى ــ وهى التى أخذت نفسها بالمثل ، فاننا نرى جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار سنتين متتاليتين يسعى قبل قيام الثورة الى اقناع الهيئة بضرورة تنصيب قائد للثورة من خارج الهيئة لظروف واعتبارات قدر انها لمصلحة الوطن فى الوقت

الذى يعلم فيه جمال أنه أجدر من يقوم بها سـواء من وجهة نظر الهيئة التأسيسية التى انتخبته رئيسا أو من وجهة نظر الجيش كله ٠

ولم يكتف جمال بذلك ، بل انه بادر عقب انتخـابه للمرة الثالثة رئيسا بالاجماع بعد قيام الثـورة وطرد فاروق أقول بادر فتنازل الى محمد نجيب عن هذه الرياسة وألح على الهيئة التأسيسية حتى قبلت هذا الوضع ٠

**لماذا ٠٠ لماذا ؟**

ويحق لكل انسان أن يسأل اليوم يا بنى لماذا تصرف عمـك جمال على هذا النحو ، فالعالم يجرى على سنن غير هـذه السنة ، ونواميس الناس اليوم لا تعقل أو تفهم مثل هذا التصرف ٠٠ ؟

وهنا لابد لى من أن أكشف عن جانب من جوانب شـخصية جمال عبد الناصر وهو أمر لابد لنـا أن نسترشد به طول الحديث يا بنى كما قلت لك فى هذا الفصل ٠

## شخصية عمك جمال

فقد ذكرت فى الفصـول السابقة ان الهيئة التأسيسـية وافقت قبل قيام الثورة على تعيين قائد مسن للثـورة من خارج الهيئة الا واحدا عارض فى هذه الخطـوة هو أبوك الذى يكتب لك هذه السطور ، وقلت أيضا انه كان هناك ثلاثة مرشحون اختير منهم محمد نجيب ، وبعد أن صدر هـذا القرار أذكر اننى اجتمعت على انفراد بعمك جمال فى شقته بكوبرى القبة وأخذت أتناقش معـه وأبدى له تخوفى الشديد من تسلم رجل غريب لقيادة الثورة التى

لم تبدأ بعد وكان محور خوفي ان الرجل بحكم سنه وعقليته وجيله الذى نشأ فيه لن يستطيع أن يفهم العمل الثورى ولا يرجى منه بعد هذه السن أن يعيش بعقلية غير عقليته مما يشكل خطرا جسيما على الثورة خصوصا عند البدء •

**النفس البشرية**

وأذكر انه بان على عمك جمـال انه اقتنع وأخذ ينفث دخان سيجارته على عادته حين يكون مستغرقا فى التفكير ثم لم يلبث أن قطع الصمت قائلا :

« يجب أن تحسب حساب النفس البشرية •• »

ولم أفهم أول الامر ، ولكن عمك جمال لم يلبث أن استطرد قائلا :

« نحن جميعا فى الهيئة التأسيسية زملاء وفى سن واحدة ، ورتبنا تكاد تكون واحدة ، والذى جمعنا فى هذا العمل هو الصداقة أولا ثم الاخوة والمحبة اللتان ولدتا الثقة بدليل اننا نتآمر ليل نهار ولا يحس بنا أحد ، وأخشى ما أخشاه اننا اذا جعلنا قيادة الثورة فينا أن يفتح هذا الأمر ثغرة فى نفس واحد منا ونحن بشر ، والنفس البشرية مليئة بالانفعالات ، وأنا لا أريد أن يكون مستقبل الوطن معلقا على الانفعالات ، بل لا أريد أن أفرض احتمالا واحدا فى الالف فيه شك من انفعال فى نفس أى واحد فينا لأن المسئولية مسئولية مستقبل شـعب ، وبالثقـة والمحبـة نسـتطيع أن نحقق المستحيل » •

وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ من قبل أن تبدأ الثورة يا بنى •

وهكذا كان عمك جمال وما زال وسيظل يحسب حساب كل شيء مهما كان مستبعدا يا بنى ، لذلك انهزم وانهار أمامه ايدن الذى قضى ثلاثين عاما يصرف السياسة الدولية ويتحكم فى مقادير البشر وكانوا يعتبرونه استاذا من أساتذة هذا الفن ٠

ولهذا عرف الساسة فى أمريكا وفى العالم كله أن ذهب العالم كله لا يشترى فى مصر لا المثل ولا المبادىء ٠

## مغزى عميق

ولهذا عادت العزة وعاد الشرف القومى لشعب عريق بل لمنطقة بأسرها ، منطقة يسكنها قوم كان المستعمرون يسمونهم « عرب » كصفة تعنى الاحتقار والاشمئزاز ، وبين يوم وليلة أصبحت كلمة « عرب » ذات مغزى عميق مخيف ، مغزى يفخر به الاهل والاصدقاء ، ويرهبه القراصنة المستعمرون الاقوياء ٠

ولهذا أصبحت ثورة ٢٣ يوليو قذى فى عين فرنسا أفقدها الوعى والرشد ٠

ولهذا فزع الانجليز وخرجوا على مألوف عادتهم فى ادعاء الهيبة والوقار وأصبحوا وهم يصرخون فى هذيان جنونى كشف عن خيبة نواياهم الاستعمارية وانتهى بهم الى الافلاس والجوع ٠

والمعركة لم تنته بعد يا بنى حتى هذه اللحظة التى أكتب لك فيها هذه السطور ولكن عمك جمالا لا يزال كما هو يحسب حساب كل شيء ويستلهم وحيه من روح شعب مصر البسيطة المسالمة ، وهى نفس الروح التى تحطم القيود وتنسف السدود اذا غضبت أو ثارت ٠

وقد انتصرت الثورة وانتصر عمك جمال فى كل معركة خاضها

باسم الشعب ، انتصر يا بنى على ادعياء الدين من المشعوذين ، وقضى على الاتجار بالسياسة ، وانتصر فى مارس سنة ١٩٥٤ ، وانتصر فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، انتصر يابنى فى معركة الاحلاف وانتصر فى معركة العروبة ، وانتصر فى معركة تسليح مصر وانتصر فى معركة القناة ، وانتصر فى معركة وحدة مصر وسورية وهو يكمل اليوم انتصاره فى اتحاد الدول العربية .

فلنبدأ يا بنى منذ البداية ..

أى من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

# الفصل الرابع

* الانتصارات التى حققتها الثورة
* مظالم ٦٠٠ سنة حطمها جمال
* ثورة ٢٣ يوليو مدرسة للمثل العليا

## الانتصارات التي حققتها الثورة

كان من المتفق عليه في اجتماعات الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، التى تشكلت سنة ١٩٥١ ، أن يكون عام ١٩٥٥ هو العام الذى تقوم فيه الثورة .

وأنا أقول يابنى « كان من المتفق عليه » لان قرارا بذلك لم يصدر ، وانما كان ذلك التقدير مبنيا على الحساب الدقيق ، الذى كان يحسبه عمك جمال كعادته يوما بيوم ، منذ أن تولى أمر هــذه الثورة عام ١٩٤٣ ، أى قرابة تسع سنوات كاملة .

وفى خلال هذه السنوات التسع ، استطاع عمك جمال يابنى أن يطور الفكرة من عمل حمــاسى لا يرتكز على تنظيم أو يقــوم على مبادىء ثابتة ، الى عمل ثورى متكامل .. يقوم على الوعى بدلا من الحماس .. ويرتكز على تنظيم محكم له أهداف محددة واضحة .

وكانت نظرية عمك جمال أن الثــــورة من غير تنظيم قوى يسندها ويشد من أزرها لن تكون لها ثمرة ، ولن يكتب لها البقاء .. شأنها شأن أية معركة حربية ، لن يكتب لك الفوز فيها الا اذا كانت جيوشــك تستند بظهرها الى ما يسمى فى الفن العســكرى « بالقاعدة الثابتة » وهى القاعدة التى تؤمن لك كل احتياجاتك من قبل المعركة وفى أثنائها ، بحيث تستطيع أن تضمن تدفق القوة

وتجددها فى شرايين قواتك ، فى كل الظروف ٠٠ ومهمـــا كانت الظروف ٠

وكان عمك جمال يطلق تعبير « القاعدة الثابتة » على تنظيم الضباط الاحرار ، بعد أن فقد الشعب ثقته فى القـادة والاحزاب وأخذ يتطلع فى أمل مكبوت الى قواته المسلحة ، أمله الوحيد الباقى فى الصراع من أجل حريته ٠

لذلك كان عمك جمال يصر على أن يستكمل تنظيم الضباط الاحرار قوته كاملة ، قبل أن تنطلق منه الثورة ٠٠

ومن أجل هذه الاعتبارات ، تحدد مبدئيا عام ١٩٥٥ لبـدء الثورة ٠

ولكن الاقدار كانت قد أعدت تاريخا غير ذلك التـــاريخ ، ومهدت لذلك بسلسلة من الاحداث وقع أولها فى نهـاية عام ١٩٥١ حينما ألغت مصر معاهدة التحالف مع بريطانيا ٠

وأذكر يابنى أن الهيئة التأسيسية اجتمعت فى الاسبوع الاول من شهر يناير سنة ١٩٥٢ فى منزل عمك حسن ابراهيم ، برئاسة عمك جمال عبد الناصر ، لكى تبحث الموقف الذى كان يتـــــدهور بسرعة ، ويسوء يوما بعد يوم ٠

فبالرغم من أن تشكيل الضـــــباط الاحرار كان يمد حركة المقاومة ـ التى قامت فى منطقة القناة ضد جنود بريطانيـــا عقب الغاء المعاهدة بالاسلحة والذخائر والضباط ـ الا أن الصـــــورة كانت قاتمة ، لان الوزارة الحزبية التى كانت فى الحـكم وقتذاك ، لم تكن تعنى الكفاح والمقاومة ، بقدر ماتعنى المكسب الحزبى ٠٠ هذا فضلا عن أنها لم تكن لتستطيع المضى حتى فى هذه المقـــاومة الكسيحة ، لانها ككل وزارة حزبية أخرى ، عبارة عن باشـــاوات

كل همهم هو أن يؤثروا السلامة مع الجاه ، والمنصب ، وجمع المال، يضاف الى ذلك أيضا أن ملك البلاد التى يقاوم شعبها جنود بريطانيا ، جنرال فى الجيش البريطانى •

وكان أخوف ماتخافه ، هو أن ييأس الشعب بعد أن توقفت المقاومة فعلا فى منطقة القناة فى مستهل ١٩٥٢ بعد أن سيطرت عليها الحكومة ، وبعد أن قتل شباب برىء فى معاركها التى لم يكن لها خطة ولا تنظيم يضمن لها الاستمرار والنجاح •• ويضاف الى كل ذلك ، حالة الفوضى التى أصبحت تنذر بأخطر العواقب •

فالشعب كان يحقد على الملك ، ويحقد على الاحزاب ، وأصبح الحكم والحكومة ، هما أعدى أعداء الشعب •• ولن يستفيد من كل ذلك الا العدو الاجنبى الذى يتربص ببلادنا من داخلها ، وهى بريطانيا التى عرفها العالم ، وعرفناها نحن سيدة المؤامرات والدس واقتناص الفرص ، للسيطرة على الشعوب من داخلها •

وفى هذا الاجتماع وبعد دراسة شاملة ، أصدرنا أول قرار يابنى بتحديد موعد قيام الثورة •• وكان شهر نوفمبر ١٩٥٢ ، على أن يبدأ فى الحال بتعبئة كل قوى الضباط الاحرار داخل القوات المسلحة ، لمواجهة أية أحداث قد تطرأ •

وكانت أسباب اختيار شهر نوفمبر لقيام الثورة هى :

**أولا** ــ الاستفادة من تنقلات القوات التى تتم فى شهر يوليو من كل سنة ، لكى تحشد فى القاهرة وحدات كاملة من وحدات الجيش الموالية للحركة والتى كانت مبعثرة بين صحراء سينا والاسكندرية ، وكان ضباط أركان الحرب الذين ينظمون هذه التحركات من الضباط الاحرار •

**ثانيا** ــ أن يكون الملك والوزراء قد عادوا من مصيفهم الى

القاهرة لكي تكون الضربة واحدة ، وكاملة ، وسريعة ، من غير حاجة الى معارك أو دماء .

وفي نفس هذا الاجتماع أيضا ، كلف عمك عبد الحكيم عامر بعمل تقدير كامل للموقف ، وهو العمل الذي يتم دائمـــا قبل اعداد أية خطة ، لانه عبارة عن دراسة دقيقة لكل شيء . من وجهة نظرنا ومن وجهة نظر الاعداء الذين كان مفروضا أن نواجههم .

ومعذرة يا بني اذا كنت أطيل عليك في ذكر هذه التفاصيل . ولكنني أراها ضرورية بعد أن وعدتك أن أبدأ منـــذ البداية ، وضرورية أيضا لكي تعرف أنت وجيلك شيئا عن طريقـــة عمك جمال عبد الناصر في معالجة الاحداث ، فكما قلت لك من قبل ، لن تستطيع أن تكون لنفسك فكرة حقيقية عن كل ما تم من غير أن تعود دائما الى شخصية عمك جمال التي تجمعت فيها كل خيوط هذه الثورة من قبل أن تبدأ ومن بعد أن قامت .

وأعود الى الحديث يا بني فأقول انه بعد أن اتخـذ قرار بدء الثورة في سنة ١٩٥٢ وصرف النظر عن عام ١٩٥٥ للأسباب التي ذكرتها ، لم يضيع عمك جمال لحظة ، بل بدأ يعمل ليل نهـار . فهو يحضر الاجتماعات المستمرة للجان الضباط الاحرار في مختلف أنحاء القاهرة ، ثم يعود الى منزله في ساعة متـــأخرة من الليل لا لينام ، وانما ليعد محاضراته التي سيلقيها في كلية أركان الحرب في الصباح والتي مايكاد يفرغ منها حتى يكون في انتظاره اجتماع جديد في مكتبه أو في منزله ، وهكذا دواليك .

وراحت أيام شهر يناير سنة ١٩٥٢ تمضي ، والحالة تســوء يوما بعد يوم .. الى أن كان يوم ٢٥ يناير الذي ضربت فيه قوات بريطانيا المسلحة ، بأحدث الاسلحة والمدافع ، دار المحـــافظة في الاسماعيلية .. حيث توجد قوات البوليس المصري المجردة من كل

سلاح اللهم الا من بنادق الحراسة القديمة ، وهدمتها فوق ضباط وجنود البوليس البواسل الذين أبوا أن يسلموا كما طلب منهم قائد الامبراطورية المظفر !

وكان رد الفعل مفاجئا ومذهلا في اليوم التالى وخاصة بعد أن فقد الشعب ثقته فى الحكم ـ كما قلت لك ـ اذ احترقت مدينة القاهرة ، وعاشت العاصمة الجميلة في فوضى مروعة لعدة ساعات الى أن نزل الجيش ، ولكن هذه الساعات كلفت العاصمة كثيرا من العناء ، حتى ان ايدن وهو يحاول أن يجد تبريرا لنفسه فى مهاجمة مصر بعد ذلك بأربع سنوات عام ١٩٥٦ ، وقف يقول فى مغالطة صريحة ، انه يريد أن يحمى الممتلكات البريطانية وأرواح الرعايا البريطانيين ٠٠ حتى لا يتكرر ما حدث فى يناير سنة ١٩٥٢ لكى يخفى هدفه الحقيقى ـ هو وفرنسا شريكته ـ الذى لم يكن حماية الرعايا ، وانما هو اعادة السيطرة الاجنبية على مصر وعلى العرب٠٠ واغتصاب قناتنا٠٠ والتخلص من عمك جمال عبد الناصر٠

على أية حال ، مضى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ بحوادثه الحزينة وكانت هذه الحوادث من العنف بحيث فكر الملك وقتذاك فى الهروب من مصر ٠٠ وأعد قائمة بمن يريدهم أن يستصحبوه فى هروبه وفاتح بعضهم فعلا ٠٠ وأعد حقائبه ٠

ووصلتنا هذه المعلومات ٠٠ وللمرة الثانية بدأنا نفكر فى تقديم موعد قيام الثورة لكى يكون شهر مارس ١٩٥٢ بدلا من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، الا أن الامور لم تلبث أن بدأت تعود الى شبه استقرار ٠٠ مما دعا الملك لأن يعدل عن فكرته ، ليبدأ الفصل الاخير من حياته كملك ٠٠ ولكى يكتب الى الابد مصيره ومصير أسرته التى لم تستند فى حكمها لمصر يوما الا على قوة أجنبية ٠٠ سواء كانت تركيا أو فرنسا ، أو بريطانيا التى عبثت بكل مقدسات هذا الشعب الوادع الامين ٠

وفى بحر خمسة أشهر سقطت وقامت خمس وزارات ٠٠ كل وزارة منها تشتم أختها وتسب عرضها ٠٠ والملك لاه فى القمار والسهرات ٠٠ والشعب يعانى من هذا العبث الذى شمل مصيره وأرزاقه ومقدراته ٠٠ وبريطانيا تقف من هذا المشهد موقف المنتصر الذى خرج من المعركة بكل الاسلاب ٠

وجاء شهر يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

وصمم عمك جمال أن يجرب قوة التنظيم ، أو « القاعدة الثابتة » فى « معركة » حقيقية ٠٠ لكى يعرف مدى صلابته ٠

وكانت معركة انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط التى خاضها تنظيم الضباط الاحرار بقائمة قد نجحت بكاملها ٠٠ وكان أول عمل لهذا المجلس هو أن تحدى الملك علانية ، برفض ضم عضو اليه سقط رغم تزكية الملك له ٠

ثم جاء النصف الاول من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ٠٠ وميعاد قيام الثورة لا يزال كما هو فى نوفمبر ٠

ولكن الاقدار عادت فغيرت هذا الحساب أيضا ٠

اذ ما لبثت الوزارة الخامسة أن استقالت يوم ١٩ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠٠ وباستقالتها بدأت الاحداث تخلق موقفا جديدا ٠

اذ جاءت الانباء من الاسكندرية ، بأن الملك سيعهد بوزارة الحربية الى رجل من رجاله ، هو نفس الرجل الذى سقط فى انتخابات النادى رغم تزكية الملك له ٠٠ وكان معنى هذا أن صراعا لابد أن ينشأ بين تنظيم الضباط الاحرار ، وبين الوزير الجديد من أجل البقاء ٠

## وكان قرار بدء الثورة

وفكر عمك جمال يابني بسرعة ·· تماما كما فكر ساعة أن سمع أزيز قاذفات القنابل البريطانية ، التي جاءت لتضرب مصر في مساء ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ·· وكشف من هذا الأزيز حقيقة المؤامرة الثلاثية على مصر ·

أقول فكر عمك جمال بسرعة ، وانتهى الى قرار هو أنه اذا كان لابد من صراع ، فليكن هذا الصراع من أجل مصر لامن أجل بقاء تشكيل الضباط الاحرار ·

وكان قرار بدء الثورة ·

عرفه أعضاء الهيئة التأسيسية الذين كانوا في مصر يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٢ ·

وحمله الينا في سينا ، عمك حسن ابراهيم ، الذى قام بالطائرة لابلاغه للاعضاء الذين كانوا هناك ·

وكان نص القرار :

« تحددت الفترة من ٢٢ يوليو الى ٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ لبدء المشروع » ·

وكان المشروع ·· هو الثورة ·

## كن صادقا مع نفسك يا ولدى

أردت يا بني أن أذكر لك هذه التفاصيل ، لكي تعلم كيف بدأت الثورة ·· وكيف كان عمك جمال يسيطر على الأحداث فيوجهها ولا توجهه ·· وهو في كل ما يصدر عنه ، أو ينفعل به ، انما يفكر أولا في مصر ، وانقاذ مصر ، وبعث مصر ·

وقامت الثورة فى ليل ٢٢ - ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

ولا أريد أن أحكى لك هنا يابنى عن التفاصيل ساعة بساعة، فأنا لم أدون مذكرات ٠٠ لان ذلك لم يكن مســـتطاعا فيما كنت أعيش فيه من ظروف ، وما كان يحيط بى من أحـــداث ٠٠ لذلك فاننى سأروى لك الحوادث بعد ذلك ، من وحى ما طبعته فى عقلى من احساسات ، وما عكسته على وجدانى من انفعالات ، كما سبق أن قلت لك ٠٠ وهى قبل كل شىء رواية نفسى ، فان أصبت فليس لى فضل ، وان أخطأت فليس على ذنب ٠٠ وان ما يعنينى هو أن أحكى لك نفسى كما تعودت أن أحكيها لكل من يقرأ لى سطورا أو كلمات٠٠ والعبرة عندى أن التزم حدود ما احسه ، وينفعل به ضميرى ، من غير أن الجأ الى التزويق أو الافتعال ٠

ان أروع متعة يا بنى فى هذه الحياة ٠٠ هى أن تكون صادقا مع نفسك دائما ٠

بهذا الصدق لن تعرف نفسك العقد أو الأزمات ، التى اعترف لك اننى تعرضت لها فى حقبة من حياتى بعد الثورة ٠٠ وانتصرت عليها وأنا استقبلها فى هذه الدنيا أثناء العدوان ٠

احرص يا بنى فى كل لحظة من حياتك ، على أن تكون صادقا مع نفسك ، حتى تنعم دائما بالسلام الروحى ٠

**من أجل ذلك أحبه ٠٠**

وتعلم يابنى أن تغفر للناس ، فان أتعس لحظات يعيشـــــها انسان على ظهر هذه الارض هى تلك التى يتملك النفس فيها غضب أو حقد أو كراهية

ولكن ٠٠٠

تعلم أيضـا يا بنى بألا تغفر أو تتهـاون أبدا مع من يعتدى على وطنك ‥ فانك لن تعرف السلام أبدا ووطنك معتدى عليه ‥ ولا كرامة ولا شرف لأى انسان ، اذا كانت كرامة وطنه فى التراب ، أو كان شرف وطنه يداس بالاقدام ·

من أجل ذلك ، نحن نحب عمك جمال ‥

ومن أجل ذلك ، يكرهه المستعمرون المسعورون فى بريطانيا وفرنسا ، وأدعياء السياسه فى أمريكا ·

اننى مهما وصفت ‥ فلن أستطيع أن أصور لك يا بنى حياة الشقاء الذى عشـنا فيه منذ مولدنا ‥ وكان يعيش فيـه آباؤنا وأجدادانا عبر القرون ، نتيجة للسيطرة الأجنبية ·

فقد انتزعت ملكية هذا الشعب ‥ وأصـبحت الارض ومن عليها ملكا للوالى التركى أيام محمد على تحت حكم الاتراك ‥ ومن قبل ذلك · وأثناء الحملة الفرنسية ، اسـتعبد الشـعب ، وهدمت بيوته ، وصودرت أرزاقه ، وحولت الجنود الفرنسية جوامعـه الى اسطبلات للخيول ، ولم ينج من هذا المصير الجامع الازهر نفسه ، لا لشىء الا لان نابليون كان ينافس بريطانيا فى الاستعمار واستعباد الشعوب ·

ومن بعد ذلك ‥ اتفقت بريطانيا وفرنسا طوال القرن التاسع عشر على اغتصـاب مصر ، وأرزاق مصر ، وموارد مصر بالخـديعة والغدر تارة ، وبقوة السلاح تارة أخرى ‥ كما حدثتك فى الفصل السابق ·

## مظالم ٦٠٠ سنة

مظالم سـتمائة سـنة ‥ هى التى حطمهـا عمك جمـال

عبد الناصر يابني ٠٠ ستمائة سنة توالى فيها الحكم التركى من عهد السلطان سليم ، ثم الفرنسى على يد نابليون ، ثم التركى مرة أخرى على يد الخديويين ، ثم الفرنسى والبريطانى من خلال الخديويين ٠

الى أن جاءت سنة ١٨٨٢ فأغارت بريطانيا على مصر ، وانفردت بحكمها منذ ذلك التاريخ ، حتى كان يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ الذى حدثتك عنه ، والقرار الذى اتخذه عمك جمال ، لكى إينهى الى الابد مذلة دامت ستمائة عام ، وعارا لحقنا كل هذه الاجيال ٠

وأصبح يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

وعرفت مصر ، وعرف العالم كله ، أن جيش مصر قد تحرك ٠

أما الشعب ٠٠ فقدَ انفجر ليهلل ، ويؤيد ٠٠لان آماله المكبوتة التى ورثها عبر عصور المظالم والاضطهاد ، قد تحققت أخيرا على أيدى أبناء من صميم ترابه ٠

ولم يسأل الناس أو يترددوا لحظة ، كما هو مفروض أن يحدث عند وقوع مثل هذه الاحداث ٠

فالذين قاموا بالثورة ضباط من الجيش ٠٠ وضباط الجيش كلهم مصريون ٠٠ لا يوجد بينهم شركسى ولا بريطانى ٠

أما المعسكر الغربى ٠٠ وهو ما كان يهمنا عند بدء هذه الثورة لاحتمال تدخله ، فقد أذهلته الضربة السريعة التى تمت فى سرية مطلقة ، وأقلام مخابراته تملأ شوارع مصر ، واجواءها فى تلك الاوقات ٠

### المخابرات البريطانية فشلت

فلقد كان لبريطانيا جهاز مخابرات فى مصر ٠

وكان متغلغلا فى كل الاوساط ٠

وكانت سمعته أسطورية ٠٠ بمعنى أن مجرد ذكر اسم قلم المخابرات البريطانية ، كان يعنى القوة التى لا قبل لأحد بهـــا ، والمقدرة الخارقة على معرفة ما يجول حتى فى النفوس من قبل أن ينطق به اللسان ٠

وكان الانجليز مغرورين جدا بمخابراتهم ، الى جانب شىء آخر أهم من مخابراتهم وجيوشهم ، وهو ما كان يسمى « بالهيئـــة البريطانية » ٠

لذلك كانت الضربة مذهلة حينما قامت الثورة ، وليس لدى مخابراتهم علم سابق كما تعودوا فى كل الاحداث ٠

وأكثر من ذلك طعنت هيبتهم فى الصميم من أول لحظـــة حينما تجاهل القائمون بالثورة بريطانيا ، والسفارة البريطانيـــة تجاهلا تاما ٠٠ وهى السفارة التى كانت منذ ساعات ســـابقة مصدر السلطات فى مصر ، وسيدة القصر الذى يحكم البلاد ، وقبلة الاحزاب ، ومنتهى أمل القاذة والزعماء ٠

وكان هذا التصرف طبيعيا يا بنى ٠٠ بعد كل تلك الســنين الطوال من الاحتلال ، والاذلال ٠

أما بالنسبة لامريكا ، فان الاسم كان يختلف بعض الشىء عنه بالنسبة لبريطانيا ٠

فبالرغم من اننا كنا نعلم أن هناك صداقة وطيدة بين ســفير أمريكا والملك ، الا أننـا كنـا نحس بالآمال العريضة كلمـا ذكرنا المواقف التى كانت بين روزفلت وتشرشل ٠٠ وكيف أن روزفلت

كان يدافع عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب الضعيفة ضد جشع بريطانيا وطمع فرنسا ·

كنا نذكر بالذات ، تلك الجلسات التى عقدت فى الدار البيضاء ·

والحديث الذى دار بين روزفلت والسلطان محمد الخامس ملك المغرب ·

وكيف أن تشرشل كان يتدخل للمقاطعة وتحويل الحديث حتى لا يحصل المغرب على استقلاله مع أن ميثاق الاطلنطى الذى أعلنه تشرشل وروزفلت فى عرض المحيط ، لم يكن مداده قد جف بعد ·

## حق تقرير المصير

كنا نذكر أيضا تاريخ تحرير أمريكا من الاستعمار البريطانى ·· وكيف أنها خاضت معركة سنخوض مثلها تماما مع بريطانيا ·

وكنا نظن أن ما تركه جورج واشنطن من تراث ، ما زال يحفظه الابناء اليوم ، بعد أن كتبه الآباء والاجداد بدمائهم ، وكفاحهم يوم أن أرادت بريطانيا أن تتحكم حتى فى فنجان الشاى الذى يشربه الامريكى ·

كنا نعتقد أن حق تقرير المصير ، الذى كانت تنبادى به أمريكا طوال الحرب الثانية لكل الشعوب الصغيرة وتنديدها بالاستعمار ، حقيقة لا دعاية ·

من أجل ذلك كله ·· كان تصرف الثورة حيال أمريكا ، من أول يوم ، مناقضا تماما لتصرفها حيال بريطانيا ·

وانعقدت صداقة حقيقية بيننا وبين السفير الامريكى الذى كان صديقا للملك ٠

وكان الرجل مخلصا حقا ٠٠ الا أن واشنطن ـ كما اتضح فيما بعد ـ كان لها رأى آخر ، يعتمد في بعضه على آراء الاستعماريين من أمثال ايدن رئيس وزراء بريطانيا ، الذى تحطم وانهار أمام وقفة عمك جمال ٠٠ ويعتمد بعضه على النفوذ الصهيونى البشع الذى يسيطر على الصحافة ، وعلى الكونجرس ، وعلى المال فى أمريكا ٠ ويعتمد بعضه أيضا على آراء بعض المتهوسين المغرورين من الامريكان الذين يعتقدون انهم يستطيعون شراء كل شىء بالدولار حتى المبادىء والخلق ٠٠ فاذا رفضت أن تبيع خلقك بادروا فملأوا العالم كله بالصياح : انك شيوعى وهدام ٠٠ وخطر على البشرية ٠٠ وعلى السلام !

**صداقة الاحرار**

ومن أول يوم كنا نؤمن يا بنى بالصداقة ٠٠ ولكن فهمنا للصداقة كان ولا يزال هو صداقة الاحرار لا صداقة العبيد ٠

ومن هذه النقطة بالذات ، بدأ الخلاف الذى وصل الى حد اعلان الحرب على مصر والعدوان عليها بتدبير دنىء فى يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، ولكننى أقرر لك يا بنى ، اننا برغم كل ما حدث فى الشهور السابقة ، وبرغم ذلك العدوان ، لم يتزلزل ـ أبدا ـ ايماننا شعرة واحدة فى فهمنا للصداقة ٠٠ بل على العكس من ذلك ٠٠ فنحن نصر اصرارا كاملا على أن أمل البشرية الباقى للعيش والامن ، لن يكون الا فى الصداقة الحرة ٠٠ صداقة الشعوب قبل صداقة الحكومات ٠٠ صداقة الاحرار التى تنبثق من الاحترام المتبادل ، بعد ان أسفرت معركة العدوان عن صدق ما قلناه ـ من

أن المدفع والدبابة لا يفرضان الصداقة ، وانما يولدان الحقد والمرارة ٠

كانت الصداقة هي العامل الاساسى الذى اتخذه عمك جمال شعارا له ، وهو يبنى تشكيل الضباط الاحرار يا بنى ٠٠ لانها معنى ينسجم مع طباعه ، ويحفز فيه كل طاقات الانتاج والحماس ٠

فقد كان يسعده فعلا أن يوقف اجتماع شعبة من شعب التشكيل ، أو يلغيه ٠٠ لان ضابطا زميلا رجاه أن يساعده بشرح درس من دروس كلية أركان الحرب ، وقد لايكون هذا الضابط عضوا فى التشكيل ، ولا ينتظر منه أصلا أن يكون عضوا ، وانما يكفى جدا ان يقصد عمك جمال باسم الصداقة ، فيكون له مايريده ٠٠ حتى ولو عطل ذلك ، بعض الوقت ، العمل الذى يعيش ويكافح من أجله عمك جمال ٠٠ وهو الثورة ٠

وقد نجحت هذه الصداقة فى أن تجعل بناء الضباط الاحرار مهما كان عدده ، بناء قويا عميق الايمان والاهداف ٠

ونجحت أيضا فى أن توفر الحرية التامة لنشاط ما قبل الثورة ٠٠ ولكن أروع ما حققته هذه الصداقة كان يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أى بعد أن تنازل الملك وغادر البلاد بيوم واحد ٠

## ثورة ٢٣ يوليو مدرسة

فى هذا اليوم اجتمعت الهيئة التأسيسية لتشكيل الضباط الاحرار ، لاول مرة يا بنى بعد قيام الثورة ٠٠ وكان عددنا تسعة ٠

وكان عمك جمال هو الرئيس المنتخب للهيئة من قبل قيام الثورة ٠

وفوجئنا عند بدء هذا الاجتماع ، بعمك جمال يقدم استقالته من رئاسة الهيئة التأسيسية ، طالبا انتخابا جديدا للرئاسة ، بعد أن انتقلت الثورة من مرحلة الى مرحلة ٠٠ وحققت أول نجاح بتنازل الملك ٠٠ وانتقالها من مرحلة السرية ، الى مرحلة العلنية ٠

ولقد كان الرد المفاجىء منا جميعا هو رفض اجراء هـــذا الانتخاب ٠٠ لان آخر انتخاب للرئاسة كان فى عام ١٩٥٢ ولم يكن قد مضى عليه الا بضعة أشهر ( فبراير سنة ١٩٥٢ ) فضـــلا عن المسئولية التى القيت على كاهل الهيئة التأسيسية بهذا النجـــاح الاول ، والمشاكل الخطيرة التى علينا أن نواجهها تجعلنـــا نتمسك بأوضاعنا لكى نمضى فى طريقنا ٠

ولكن عمك جمال أصر يا بنى على أن يستقيل !!

فأجرى الانتخاب على الفور ٠٠٠

وفى لحظات معدودة ، جمع عمك كمال الدين حسين أوراق الانتخاب ٠٠ وأخذ يفضها ٠٠ وكانت كلها جمال عبد الناصر ٠

لقد كنا جميعا فى هذه اللحظات يا بنى ٠٠ لا نحس الا بما تعودنا أن نحس به تجاه عمك جمال من صداقة عميقة ، واحترام متبادل ٠٠ ولو أن أحدا قرأ أفكارنا فى تلك اللحظات لوجدها كلها بخاطر واحد ٠٠ هو الثقة فى هذا الصديق الذى حرص فى ساعة النصر ، على أن ينتصر للمبـــادىء والقيم فيستقيل ٠٠ حتى لا يظن أحد أنه اغتر ، مع أنه كان القوة الدافعة للنصر الذى تم ٠

ومن هذه اللحظة أيضـــا ، تحـــدد يابنى الطريق الـــذى سارت فيه الثورة الى يومنا هذا الذى أجلس فيه لكى أسطر لك هذه الكلمات ٠

ومن هذه اللحظة أيضا ، كتب لهذه الثورة ، ثورة ٢٣ يوليو، أن تكون مدرسة قائمة بذاتها تختلف عما سبقها من ثورات ٠٠ وكتب لها أيضا أن تكون حدثا عالميا لا فى تاريخ مصر وحدها ، وانما فى تاريخ العالم أجمع ٠٠ اذ أصبحت هذه الثورة نقطة تحول — فى تاريخ البشرية — بين تاريخين : تاريخ أصيب فيه العالم بكوارث الاستعمار الذى عصف بالقيم ٠٠ وأذل الشعوب ٠٠ واغتصب الارض والرزق والمصير ٠٠ وتاريخ تحررت فيه البشرية لتحفظ للانسانية قيمها ، ولتدك الاستغلال والاغتصاب ٠٠ولتسحق الاستعمار والمستعمرين لصوص القيم ، وقراصنة الشرف ٠

لقد خاض عمك جمال يابنى معركة مريرة ٠٠ ولا يزال يخوضها لا باسم مصر فقط ، وانما باسم كل ما أراده الله للبشرية من قيم وخلق وعدالة ٠٠ وبرغم ما كان يبدو من عدم تكافؤ القوى فى هذه المعركة ٠

فان عمك جمال استطاع أن ينتصر فى معركة السياسة على دهاقين السياسة الذين أفنوا عمرهم فى الخبرة والدهاء ٠٠ وسقط أمامه رئيس وزراء أكبر أمبراطورية يعرفها العصر الحديث صريعا موصوما بالتآمر والعار ٠

واستطاع عمك جمال أن ينتصر فى المعركة الادبية حين وقفت من خلفه شعوب تعدادها ألف وخمسمائة مليون نسمة ٠٠ تصرخ فى وجه أعدائه الذين أرادوا أن يعودوا بالعالم الى شريعة الغاب ٠

وانتصر عمك جمال فى المعركة العسكرية على جيوش الامبراطورية البريطانية — وما يسمى بفرنسا — المزودة بأحدث الاسلحة وأفظع أدوات الفتك والدمار ٠

أتعرف كيف انتصر يابنى ؟

# الفصل الخامس

* لن أستطيع أن أكون دكتاتورا
* جمال عقل الثورة ومدبرها ورائدها
* انتصر لنا جمال

## لن أستطيع أن أكون دكتاتورا

لقد انتصر عمك جمال فى كل هذه المعارك يابنى ، وسينتصر باذن الله دائما ، لانه صادق مع ربه ومع نفسه ، يحاسب نفسه دائما أقسى وأعنف حساب ، فى الوقت الذى يتلمس فيه لغيره كل أبواب العفو والغفران ٠٠ يحفظ العهد ويصدق الوعد ، ويخلص الود ، ويتقى ربه في سره قبل العلن ٠٠ لذلك أيده الله ، وآزره وناصره ٠

وعمك جمال يا بنى هادىء دائما ٠٠ ويعرف تماما ما يريد ٠

فبعد أن انتخب بالاجماع رئيسا للهيئة التأسيسية طرح للمناقشة موضوعا وصفه بأنه « حيوى وخطير » ٠

فقد طلب من الهيئة التأسيسية أن تقرر الفلسفة التى سيقوم عليها الحكم فى البلاد ، بعد أن أصبح ذلك مسئولية مباشرة للهيئة التأسيسية ٠

وفسر ذلك بأن هناك اليوم فلسفتين احداهما هى الديمقراطية والاخرى هى الديكتاتورية ٠

وأخذ فى شرح مزايا وعيوب كل فلسفة ٠٠ وكأنما كان يلقى محاضرة من محاضراته التى كنت أستمع له فيها فى مدرسة الشئون الادارية ٠

وبعد أن انتهى أخذ يعطينا الكلمة واحدا واحدا ، بترتيب الجلوس ، لكى يدلى كل برأيه ٠

وأذكر يابنى أننا انطلقنا جميعا فيما عدا عمك خالد محيى الدين الذى لم يكن موجودا ، وكان بالاسكندرية ٠٠أقول انطلقنا جميعا ندلل بالحجج والبراهين على فساد الديمقراطية ٠٠ ولم تكن تعوزنا فى هذا الامر الحجج ولا البراهين ٠

فالحياة الديمقراطية التى عاشها الشعب منذ عام ١٩٢٣ الى عام ١٩٥٢ عندما قامت الثورة ، لم تكن الا سلسلة محكمة الحلقات من الفساد ، والرشوة ، والمحسوبية ، تفرقت فيها كلمة البلاد ٠٠ وبدلا من أن يـكون الكفاح موحدا ضد بريطانيا التى كانت تحتل البلاد بجيوشها ، وتفرض عليها استعمارا أذل من كرامتها ، وسلب أرزاقها ، ومنع الشعب من التقدم ، والعلم ، والحياة ٠٠ نرى بدلا من ذلك أن الكفاح أصبح بين أبناء البلد من أجل المنصب ، والحكم والجاه ٠

كان هناك دستور ٠٠ ولـكن هذا الدستور كان مسجونا من أول يوم صدر فيه ، حين قرر الامر الملكى بصدوره انه « منحة » من الملك ٠

وبعد أن طبق هذا الدستور ٠٠ شـهدنا جميعا كيف كانت ترتكب باسمه الخيانات ٠٠ وكيف كانت تلجأ اليه الاحزاب لكى تجعل من الاحقاد ، والمطامع ، والاستغلال ، أعمالا قانونية ٠٠ وهو الذى كان مفروضا فيه أن يحمى الشعب من حكامه ٠

وكان هناك ملك حدد له الدستور مكانه «يملك ولا يحكم» ٠٠ ولكننا على العكس من ذلك ، رأينـا الملك يحكم قبـل أن يملك ٠٠ فانه نتيجة للصراع الحزبى الذى أوجدته الديموقراطية أصبح الامر تنافسـا شخصيا بين الزعمـاء والاحزاب ، ليس لمصلحـة الوطن

أو مصائره ، وانما على الفوز بالحكم والسلطان ٠٠ كان الملك هو الذى يهب الحكم ويمنعه ٠٠ لذلك أصبح يسيطر على النفوس والضمائر ٠

وشهدنا - وشهد العالم - أكبر مأساة خلقية تمثل على مسرح الحكم والسياسة فى مصر ، بطلها ملك يخضع لشهواته ونزواته ، ومن حوله زعماء كان كل همهم أن يشبعوا فيه هذه النزوات ، بالاستسلام ، والخضوع ، والتطرف فى اظهار الولاء ، حتى ان زعيما متدينا طلب من الشعب فى يوم من الايام أن يتوجه معه الى قبلة جديدة ، هى جزيرة كابرى ٠٠ لكى يحيى الملك الذى كان يعربد هناك فى شهر رمضان ٠٠ ولم يكن ذلك الزعيم طبعا يحسب فى ذلك الوقت حساب الشعب ، وانما كان كل ما يحرص عليه هو عبادة ذلك الصنم حتى وهو يعربد ، من أجل البقاء فى الحكم ، والمحافظة على الصولجان ٠

وكانت هناك برلمانات ٠٠ وكان المنصوص عليه فى الدستور هو أن الحكومة مسئولة أمام البرلمان ٠٠ ولكننا رأينا أنه منذ أن قامت تلك البرلمانات وهى المسئولة أمام الحكومات ، وبدأ سباق فى الفساد والرشوة بين الوزراء وأعضاء البرلمانات ، كل هذا يجرى تحت قبة البرلمان ٠٠ وباسم الشعب الذى كان يجلس أولئك النواب على كراسيهم ليمثلوه ٠٠ فداسوا مصالحه ، وحطوا من كرامته ، واندفعوا فى تيار المنافع الشخصية ، والنزوات الحزبية ٠

كل هذا كان يطلق عليه فى مصر ، قبل الثورة ، كلمة «الديموقراطية» ٠

والعجيب أن بريطانيا كانت تسعد جدا بتلك الديموقراطية وتعتبرها أمرا حيويا للتقدم والحرية ، ولم يكن يخفى علينا نحن أبناء هذا الشعب أن حرص بريطانيا على اطلاق كلمة ديموقراطية على هذه الفوضى المخزية ، انما كان سلاحا من أحقر أسلحتها

للسيطرة على هذا الشعب ، بشغل أبنائه بعضهم ضد البعض بهذه اللعبة التى تخلق الصراع فى الداخل بين أبنـــاء البلد الواحد ، وتبقى هى معززة مكرمة فوق كل صراع تفرض أوامرها، وسيطرتها، واستعمارها .

أخذنا نردد كل هذه الآراء الواحد تلو الآخر .. وكان كل منا ينتهى آخر الامر بتلخيص رأيه وهو أن الديمـــوقراطية أداة فساد .. ولا معدى لنـــا ولا مفر من أن نطبق الديكتاتورية لكى يمكن أن نبنى هذه البـــلاد بعد هـــذه الفترة الطويلة من الفوضى والفساد .

وبعد أن انتهينا جميعا من ابداء آرائنا على النحو الســالف بدأ عمك جمال يا بنى فى بسط رأيه .. وكنا جميعا نكاد نجزم أنه سيشاركنا الرأى .. بعد أن سيطر على جو الجلسة اجماع كل منا على رفض الديموقراطية .

بدأ عمك جمال هادئا كعادته يا بنى .. فتناول تفسير كلمة الديموقراطية اولا .. وضغط ـ مشددا ـ على أنها تعنى أن يكون للشعب الكلمة الاولى فى حكمه .

وأخذ يدلل على ســـلامة هـــذا المعنى من نفس الحجج التى أوردناها .

فلو أن ارادة الشعب كانت مفروضة على الحكام قبل الثورة ، لما استطاع الملك أن يعبث كل ذلك العبث بمساعدة الحكومات .

ولو أن ارادة الشعب كانت هى العليا ، لمـــا اندفع الزعماء والوزارات فيما اندفعوا فيه من خيانة لمصالح الشعب ومقدراته .

وبعد أن دلل على ذلك من الواقع طويلا بدأ يتنـــاول نقطة أخرى .. هى أن هذه الثورة قد قامت لتخلص الشعب مما عاناه

من استبداد ومظالم ، لا لتبدأ عهدا جديدا من الاستبداد والمظالم ..
فطبيعة شعبنا سمحة طيبة تنفر من القوة والتسلط عليها ، مهما
كان هدف هذه القوة ، أو ذلك التسلط .

وانتهى يا بنى من هذه النقطة بتقرير حقيقة طلب منا ألا
نتجاهلها وهى أن مغزى قيام هذه الثورة يكون قد انتفى تماما ،
اذا نحن فرضنا على هذا الشعب ديكتاتورية ، لان النظام الذى كان
يطبق قبل الثورة لم يكن ديموقراطية انما كان ديكتاتورية حزبية ،
أطلقت على نفسها ديموقراطية .. ويكفي من ذلك أن نعود الى الوراء
قليلا .. يوم تقرير ضريبة الاطيان بأثر رجعى فى أحد برلمانات
العهد الماضى ، لكى ندرك الى أى مدى كانت تطبق الحكومات شر
أنواع الديكتاتورية .. لانها تقرر باسم البرلمان .

## حتى لو اقتنعت بالديكتاتورية ثم

ثم انتهى الى النقطة الاخيرة ..

وهى انه لن يستطيع أن يكيف نفسه على أى نظام ديكتاتورى،
لان ذلك يتنافى مع طبيعته .. وقال بالحرف الواحد :

« حتى لو اقتنعت بالديكتاتورية ، فأنا أحس اننى لن أستطيع
أبدا أن أكون ديكتاتورا أو حتى فردا فى نظام ديكتاتورى » .

وما أن انتهى عمك جمال يابنى من بسط رأيه على ذلك
النحو ، حتى ساد الجلسة جو مشحون بالكهرباء والعصبية .

فالى اللحظة التى بدأ فيها عمك جمال يبدى رأيه لم يكن
يساور أحدا منا شك فى أننا متفقون تمام الاتفاق على المنهج
الديكتاتورى .. وانما تجرى المناقشة فقط ، لكى يكون تقرير
الامر بعد مناقشة كعادتنا دائما فى كل ما يعرض علينا من أمور ،

ولكن حديث عمك جمال كان كالقنبلة يا بنى .. خاصة وان اللهجة التى تحدث بها أشعرتنا جميعا أن وراء كل كلمة ، وكل رأى أبداه، تصميما صلبا .. ونحن نعرف أن عمك جمال لا يصمم يا بنى الا بعد تفكير وروية . فاذا ما صمم ، فان قوى الارض كلها لا تثنيه عن ذلك التصميم .

بدا لى يا بنى أن مصير الثورة كلهـــا التى لم يكن قد مضى عليها الا بضعة أيام حققت فيها أولى خطواتهـا ، أقول : بدا لى أن مصير هذه الثورة يتأرجح فى شدة وعنف .

وخطر لى خاطر ، وهو :

ان تأجيل هذه المناقشة من غير أخذ الاصـــوات كمـا تقضى اللائحة ، قد يتيح الفرصة لكي تهدأ نفوسنا جميعـا ، فان أخشى ما كنت أخشاه ، هو أن يقع بيننا تصدع خطير نتيجة للتصويت.. لاننى أعرف جمال يا بنى منذ أن كنا ضباطا صغارا .. وأعرف انه حين يقتنع بأمر ، فهو لن يتزحزح .

ثم أفزعنى خاطر آخر .. هو أن عمـــك جمـــال سيتنحى بالتأكيد عن الاشتراك فى هذه الثورة اذا ما جاءت نتيجة التصويت كما هو ظاهر .. فطلبت الكلمة .

وأخذت أتناول المناقشات التى دارت من زاوية قصدت بهـا « تمييع » المناقشة بقصد تأجيلها ، ولا أذكر اليوم ما قلته ، وهو مثبت طبعا فى محاضر الهيئة .. ولكننى أذكر شيئا واحدا :

هو أن عمك جمال تنبه لما أقصده ، فاندفع يهاجمنى فى عنف، مقررا أن المناقشة يجب أن تنتهى الى قرار ، لأن الامر أخطر من ألا يبت فيه فى الحال .

وأخذت الاصوات ، وكانت النتيجة سبعة أصوات فى صالح

الديكتاتورية وصوت واحد فى صالح الديمقراطية .. هو صوت عمك جمال .

وصوت غائب .. هو صوت عمك خالد محيى الدين ، الذى كان فى الاسكندرية ، وهكذا وقع ما كنت أخشاه !.

وأعلن عمك جمال بعد النتيجة أنه يحترم قرار الاغلبية ويعلن استقالته ، وانسحابه من الثورة .

ودعا لنا بالتوفيق فى السير بها وبالبلاد ، ثم جمع أوراقه ، وغادر مبنى القيادة الى منزله .

خرج جمال يابنى ، وبقينا نحن السبعة جلوسا الى منضدة الاجتماع وقد أذهلتنا المفاجأة !.

لم يتحرك منا أحد ، ولم يتكلم منا أحد ، وانما أخذ ينظر بعضنا الى البعض فى صمت مطبق ، وكأنما كانت عيوننا تنطق بما يجول فى ضمائرنا ، بل لعل الصدمة كانت مروعة الى الحد الذى ألجمت فيه ألسنتنا وجمدت حتى التعبير فى عيوننا ، فانسحاب عمك جمال على تلك الصورة يا بنى كان منطويا على كارثة مدمرة للثورة ، لجملة اعتبارات :

## جمال عقل الثورة

أما الاعتبار الاول يا بنى فهو أن عمك جمال هو عقل الثورة ومدبرها ورائدها .

بمعنى انه الى هذه اللحظة مثلا بعد مضى عدة سنوات على قيام الثورة فان أحدا منا نحن الذين كنا فى مجلس قيادة الثورة

لا يعلم بالضبط عدد الضباط الاحرار ، ومن هم الذين خرجوا يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟ ومن هم الذين لم يخرجوا ؟ الا فرد واحد هو عمك جمال .

وما زلنا بين الحين والآخر نسمع أسماء ضباط ولا نعرفهم فيقول عمك جمال ان فلانا هذا خرج يوم ٢٣ يوليو وكان يقود الوحدة الفلانية ، وفلان هذا تأخر ساعتين عن موعد وصوله الى المنطقة الفلانية .

ولكن عمك جمال ـ والشيء بالشيء يذكر ـ يرفض الى يومنا هذا وسيظل يرفض أن يصرح بأسماء بعض الضباط ممن خانتهم أعصابهم فى اللحظة الاخيرة فلم يشتركوا فى الثورة ساعة قيامها ايمانا منه بالمبادىء التى اختارها لنفسه ، نفس المبادىء التى جعلت من ثورة ٢٣ يوليو عملا جديدا ، ونهجا مستقيما يقوم على الخلق ويتمسك بالمبادىء .

## الفراغ الذى لا يملأ

أما الاعتبار الثانى يا بنى فهو أن انسحاب عمك جمال أوجد فراغا خطيرا لا يستطيع أحد منا أن يملأه ولا نستطيع نحن الثمانية الباقين جميعا أن نملأه . فالمسألة لم تكن مسألة انسحاب عضو من الهيئة التأسيسية ، وانما هى انسحاب الرجل الذى أسس هذه الهيئة التأسيسية ، وهنا يجمل بى أن أحكى لك يا بنى عن تاريخ هذه الهيئة .

فكما قلت لك سابقا يا بنى تولى عمك جمال أمر هذه الثورة سنة ١٩٤٣ وكان معه فى ذلك الوقت أعمامك بغدادى وخالد وحسن ابراهيم وكنت أنا قد قبض على فى السنة السابقة ، أى سنة ١٩٤٢ ، والى ذلك التاريخ الذى تولى فيه عمك جمال مسئولية

التنظيم أى سنة ١٩٤٣ لم يكن هناك جهاز لهذا التنظيم وانما كانت هناك جماعات من الضباط تجمعهم الصداقة تارة والزمالة فى الدراسة تارة أخرى ويربط الجميع شعور واحد هو كراهية السيطرة البريطانية التى اتخذت أشكالا متعددة سواء فى الجيش أو فى جميع فروع الحياة فى مصر مما أوقع البلاد بين أنياب استعمار سياسى واقتصادى واجتماعى كاد يقضى على كيان هذا الشعب •

لذلك كانت تتسم كل خططنا بالحماسة عندما يقع حدث معين، فمثلا عندما هجمت ايطاليا على مصر سنة ١٩٤٠ كان أول ما تبادر الى ذهننا هو أن ننتهز هذه الفرصة ونقوم بثورة نقضى بها على فلول البريطانيين الذين كانوا فى مصر خاصة وأن استعداد الجيوش البريطانية فى مصر فى ذلك الوقت كان ناقصا الى الحد الذى طلبوا فيه الى الجيش المصرى أن يعطيهم أسلحته ، وكادوا أن يتسلموها لولا أن رفضنا نحن الضباط الاصاغر ـ وقتذاك ـ تسليم أسلحتنا ونحن أحياء •

وكذلك حدث نفس التفكير ، عندما سلمت فرنسا ، وعندما وصل روميل بجيوشه الى العلمين •

أى ان تنظيم الضباط الاحرار لم يكن يعتمد على جهاز بقدر ما كان يعتمد على الحماسة والعاطفة فى خططه •

**قاعدة الانطلاق**

ولكن عمك جمال ما أن تسلم المسئولية حتى بدأ يكون الجهاز أو ـ القاعدة ـ التى لا بد من ايجادها لكى تنطلق منها الثورة وتظل بعد ذلك حصنا يدفع عن الثورة الدس والمؤامرات • وكان عمك جمال يصر على تكوين هذا الجهاز اصرارا شديدا مهما كان الوقت

الذى يتطلبه هذا التكوين وكان يقول اننا اذا أفلحنا فى ايجاد جهاز قوى وانفقنا فى ذلك عمرنا كله فاننا نكون قد أدينا واجبنا كاملا نحو الاجيال المقبلة اذ سيكون من السهل عليهم أن يطلقوا الشرارة فقط فيبدأ الطوفان ٠

من أجل ذلك ظل عمك جمال يعمل ليل نهار منذ سنة ١٩٤٣ الى سنة ١٩٤٨ حيث وقعت الحرب الاولى مع اسرائيل ، ثم استأنف نشاطه بعد هذا سنة ١٩٤٩ ، بعد عودته من الحصار فى الفالوجا ٠ الى أن كانت سنة ١٩٥٠ حيث فرغ من بنـاء القـاعدة الاساسية لتنظيم الضباط الاحرار فى شعب ولجان وأصبح الامر يتطلب ايجاد هيئة عليا للتنظيم ، وكان هذا هو بدء مولد «الهيئة التأسيسية» ٠

ان الذى جمع أعضاء هذه الهيئـة التأسيسية فرد واحد هو عمك جمال يا بنى ! اجتمع بهم فرادى أول الامر ثم جمعهم فى هيئة بعـد ذلك ، لذلك لم أكن أبالغ حين قلت لك يا بنى أن انسحـاب عمك جمال على تلك الصورة أوجد فراغا خطيرا لا يمكن ملؤه ، كل هذا بخلاف ما لعمك جمال من شخصية متزنة نحترمهـا جميعـا وتعودنا أن نعتمد عليها فيما كان يقابلنا من مواقف وأزمات قبـل قيام الثورة ، وتعودنا أن نجد فى أسلوبه دائما راحة وثقة وعمقا ٠

### انتصر لنا جمال

أعود الى حـديث السـبعة الذين يجلسـون حول منضـدة الاجتماع فى مبنى القيادة فى كوبرى القبة ، فأقول لك يا بنى اننا امسكنا عن الحديث بعد انسحاب عمك جمال واستعضنا عن ذلك بالنظر الى بعض ، ولا اذكر اليوم كم من الزمن مضى علينا ونحن على هذا الحال ، وانما ما اذكره هو اننا انتهينا الى قرار حاسم

من خلال ذلك الصمت ، هو انه لابد ان يعود جمال رئيسا للهيئة التأسيسية ولتكن فلسفة الحكم هي الديمقراطية كما يريدها جمال وليست الديكتاتورية كما نريدها نحن جميعا .

وكانت هذه المعركة هي اول معركة انتصر فيها عمك جمال يا بنى ، وهو لم ينتصر بالمعنى المادى الذى قد يتبادر الى الاذهان، اى باملاء ارادته علينا ، وانما انتصر لنا ضد نفوسنا ، وانتصر لمصر فجنبها الدماء والاحقاد والويلات التي تلازم دائما الديكتاتورية وحكم الافراد .

كانت هذه المعركة ايضا يا بنى هي اول تطبيق لمبادىء المدرسة الجديدة التي جعلت من ثورة ٢٣ يوليو نهجا جديدا في التاريخ ، فبرغم أن القوات المسلحة يرأسها ضباط شبان - هي التي قامت بها ، فان طلقة واحدة لم تطلق على أحد في جميع مراحل الثورة سواء في ليلة ٢٣ يوليو - منذ قيام الثورة - أو بعد ذلك يوم ٢٦ يوليو حين تنازل الملك عن العرش وخرج من البلاد .

ولم تنصب المشانق كما حدث فى الثورة الفرنسية مثلا.

ولم يقتل احد غيلة كما كان يحلو لمصطفى كمال فى تركيا ان يتخلص من اعدائه .

ولم يقذف بأحد فى أعماق السجون لكي يموت من غير أن يدرى أحد بأمره كما كان يفعل موسوليني .

وانما استخدمت القوات المسلحة كل - ثقلها - في ارغام اعداء الشعب على التسليم من غير ان تكلف الشعب ارهاقا او أن تلجأ الى الصلف والغرور حتى مع هؤلاء الاعداء الذين تساقطوا أمام الثورة كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف .

وحين عاد عمك جمال يابنى الى مكانه منا على كرسى رئاسة الهيئة التأسيسية فى اليوم التالى تلبية لاصرارنا واجماعنا على عودته .. اقول حين عاد عمك جمال لم يكن ذلك ايذانا ببدء تطور تاريخى خطير فى مصر وحدها ، وانما فى تاريخ البشرية بأجمعها .. اذ أراد الله سبحانه وتعالى أن تنهار على يديه أكبر امبراطوريتين عرفهما العصر الحديث .. هما بريطانيا العظمى والاتحاد الفرنسى .

انهارت على يديه هاتان القوتان يا بنى وهما تملكان من أسلحة الدمار والفتك أحدثها ، فى الوقت الذى لم يكن عمك جمال يملك الا ايمانا راسخا بربه وبوطنه ، تجلى فى أروع صورة يوم ان كانت الطائرات تقذف مدن مصر بالقنابل فكان عمك جمال يقول :

« الله اكبر من كل سلاح ، واقوى من كل من يصور له الغرور أنه أقوى الاقوياء » .

بهذا الايمان انتصر عمك جمال يا بنى لا لمصر وحدها وانما لكل الشعوب التى عانت طوال القرون السابقة من السيطرة الاجنبية واستعمار الرجل الابيض الذى لم يعرف يوما الخلق ولا الضمير ، ومن اجل ذلك شنوا ويشنون اليوم على عمك جمال حربا يائسة ، استخدمت فيها بريطانيا وفرنسا السلاح والعتاد ، فلما فشلتا بدأت أمريكا تكمل نفس المعركة بسلاح آخر هو سلاح الدس السياسى والاغراء بالدولار والتخويف بالاساطيل لكى تحقق نفس الاهداف ولكن بفارق بسيط هو ان امريكا تعمل لحساب امبراطوريتها الجديدة الصاعدة بعد ان ايقنت من انهيار حليفتيها الامبراطوريتين الغاربتين .

# الفصل السادس

* المراحل الثماني الخالدة في تاريخ الثورة
* المرحلة الاولى : مرحلة الآمال
* صداقتنا للسفير الامريكي
* أخطر أسلحة الاستعمار
* الوعود والأماني
* الاستعمار يبدأ ببعثة عسكرية
* اتفاقية السودان

## المراحل الثماني الخالدة
## في تاريخ الثورة

ولا بد لى من ان استعرض لك يا بنى المراحل المختلفة التى أدت الى الوضع الراهن .

**المرحلة الاولى :** مرحلة الآمال

تبدأ مع بدء الثورة وتنتهى بعقد اتفاقية أكتوبر سنة ١٩٥٤ التى نسفتها أول قنبلة سقطت على مصر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

**المرحلة الثانية :** مرحلة التضليل

وتبدأ من أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ وتنتهى فى يناير سنة ١٩٥٥ .

**المرحلة الثالثة :** مرحلة ظهور النوايا

وتبدأ فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ وتنتهى فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ أى يوم أن عقدت صفقة الاسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا.

**المرحلة الرابعة :** مرحلة المساومة

وتبدأ من سبتمبر سنة ١٩٥٥ وتنتهى فى ٢٠ يوليو

سنة ١٩٥٦ أى منذ أن عقدت صفقة الاسلحة المشار اليها الى يوم ان سحبت امريكا ، والبنك الدولى ، وبريطانيا مشروع تمويل السد العالى .

**المرحلة الخامسة :** مرحلة المؤامرة

وتبدأ يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أى يوم أن صدر مرسوم تأميم شركة قناة السويس وتنتهى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ يوم أن بدأت اسرائيل تنفيذ المؤامرة الثلاثية على مصر .

**المرحلة السادسة :** مرحلة الاذلال بالقوة

وتبدأ يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وهو اليوم الذى أرسلت فيه بريطانيا وفرنسا الى مصر انذارهما الذى وصف فى بريطانيا بأنه عمل قذر وتنتهى فى يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وهو يوم وقف اطلاق النار .

**المرحلة السابعة :** مرحلة الفضيحة الكبرى

وتبدأ يوم ٦ نوفمبر وهو اليوم التالى لوقف اطلاق النار وتنتهى فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ وهو تاريخ انتهاء انسحاب بريطانيا وفرنسا من بورسعيد .

**المرحلة الثامنة :** الاصرار على المؤامرة

وتبدأ من يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥٦ وهو اليوم التالى لانسحاب فرنسا وبريطانيا وهذه المرحلة لم تنته الى هذا اليوم الذى أدون لك فيه هذه الذكريات ، ولكنك ستجد يا بنى انه لن يصعب استنتاج ما ستكون عليه نهاية هذه المرحلة .

## المرحلة الاولى : مرحلة الآمال

### من بدء الثورة الى اكتوبر ١٩٥٤

اننى أذكر يا بنى جلسات الهيئـة التأسيسية التى عقدناها فى مستهل عام ١٩٥٢ والتى حـكيت لك عن جانب منهـا ، وأذكر أن تقدير الموقف الذى وضعه عمك عبد الحـكيم عامر ترك نقطتين فى هذا التقدير على بياض أى لم يناقشهما كما ناقش بقية النقط ، وكانت هاتان النقطتان أو كمـا نسميهما فى الاصطلاح العسـكرى « العاملان » هما :

احتمال تدخل بريطانيا .

واحتمال تدخل أمريكا فى المراحل الاولى للثورة .

### الدرس الذى وعاه فاروق

فلم يكن يخفى على أحد ان بريطانيا تسعى دائما لفرض المزيد من سيطرتها على البلاد ، وكانت تفرض حمايتها على الاحزاب السياسـية ورؤسائها بالعدل والقسـطاس لكى يمثل كل منهم دوره وقت أن يطلب اليه ذلك ، هذا فضلا عن ان ملك البـلاد فاروق كان قد تعلم من حادثة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ درسا هو الا يعارض سـياسة بريطانيا .. بل خـرج من هـذه الحادثة بحكمة خالدة هى أن يوفر لنفسـه الامان والسـلام بتنفيذ كل ما تريده بريطانيـا ، حتى يستطيع أن يتفرغ لاشـباع شـهواته ونهمـه لجمع المـال والثروة .. وتطورت الامور الى أبعـد من ذلك فأنعمت عليـه بريطـانيا برتبة جنرال فى الجيش البريطانى .. وكان بهذا الشرف الذى منحه اياه اعـداء البلاد ، ومنـذ ذلك الوقت وهو منصرف الى ملاذه واهوائه .

## احتمال تدخل بريطانيا

نخرج من هذا العرض البسيط يا بنى بأن احتمال تدخل بريطانيا ضد الثورة فى مراحلها الاولى كان يعتبر حقيقة لا بد أن تقع لأن هذه الثورة لا بد أن تطيح بالاحزاب وزعمائها الذين تبسط عليهم حمايتها وبالملك الخاضع لها ٠

ولم يكن الامر يقتصر على بريطانيا وحدها وانما كانت هناك أمريكا أيضا ، وكان الملك قد عقد لنفسه صداقة متينة مع سفير أمريكا فى مصر المستر كافرى لكى يتقى بأمريكا شر انجلترا اذا ما فكرت فى أن تنقلب عليه فى يوم من الايام ، وكان طبيعيا جدا أن ترحب أمريكا بهذه الصداقة وأن تعمل على تعزيزها وهى التى بدأت تحس بأهمية هذه المنطقة من العالم خاصة وأن شعور الكراهية ضد بريطانيا كان يزداد يوما بعد يوم فى البلاد : مما أتاح لامريكا فرصة ذهبية لكى تبنى لنفسها سمعة تقوم على أنها ضد الاستعمار .. وانها بطلة الحريات ، وتقرير المصير ٠

## مركز الثقل يتزحزح

وبدأ مركز الثقل يتزحزح رويدا رويدا من السفارة البريطانية الى السفارة الامريكية .. بمعنى ان رئيس الوزارة المصرية كان لا بد لكى يعين أن يكون مرضيا عنه من السفارة الامريكية ، ومعروفا تمام المعرفة لافرادها ، بعد أن كان هذا من اختصاص السفارة البريطانية ومستشارها الشرقى المشهور ٠

أعود بك الى سياق الحديث يا بنى فأقول اننا ازاء كل هذا كان لا بد أن نحسب حساب بريطانيا وأمريكا عند وضع خطة قيام الثورة ، ولكننا بعد مناقشات طويلة انتهينا الى قرار ، وهو أن يترك أمر هذا التدخل الى ساعة وقوعه لأنه لم يكن لدينا

لا القوات ولا الأسلحة التى نستطيع أن نخصصها لمقابلة هذا التدخل علما بأن بريطانيا كان لها أكثر من خمسة وثمانين ألف جندى مزودين بالسلاح والعتاد فى منطقة القناة ٠

## معركة شعبية

وعولنا على أن تبدأ الثورة ٠٠

فاذا تدخلت بريطانيا ، أو أمريكا ، أو الاثنتان معا ٠ فلا بد من أن تتحول المعركة الى مقاومة شعبية يشترك فيها الجيش مع الشعب ٠

ولكننا فى تلك اللحظة كنا نستبعد تدخل أمريكا فى الوقت الذى كنا نرجح فيه تدخل بريطانيا خاصة وانه كان على رأس حكومتها مستر تشرشل وهو الرجل الاستعمارى الكريه البغيض ٠

وقامت الثورة فى ليلة ٢٢/٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

وفى الساعة الثانية من صباح يوم ٢٣ يوليو ٠٠ أى بعد حوالى الثلاث ساعات من قيامها كنا نسيطر على جميع القوات المسلحة من صحراء سينا ٠٠ الى القاهرة ٠٠ الى الاسكندرية ٠

وفى اللحظات الهاجعة التى تصاحب ظهور أشعة الفجر ، كانت أصوات جرارات المدافع تنساب فى نغم متدفق من أمام مبنى القيادة لكى تؤمن المراكز الحيوية فى العاصمة ٠

## تفاهم غير منتظر

وهنا خطر لنا خاطر ٠٠٠ هو ان نخطر أمريكا عن طريق سفارتها بأن ثورة مسلحة قد قامت وسيطرت على الموقف ٠٠

وان قيادة هذه الثورة قد رأت أن تخطر أمريكا حتى لا تستغل بريطانيا هذه الفرصة فتشوه الثورة وأهدافها لامريكا ٠

واننا عازمون على المضى بالثورة مهما كانت الظروف ٠٠

واننا سوف نقاوم أى تدخل أجنبى بالقوة والسلاح مهما كان الثمن ٠

وفعلا اتفقنا بعد مناقشة قصيرة على أن نوفد ضابطا ذهب وطرق أبواب السفارة الامريكية مع أول خيط من خيوط النهار ، وأبلغ المسئولين فيها ما اتفقنا على ابلاغه اياهم ٠٠

ولقد كان رد الفعل على خلاف ما توقعنا ، فاننا كنا نتوقع أن يكون سلوك أمريكا متحفظا ان لم يكن معاديا بوصفها حليفة بريطانيا ، ولكن على العكس من ذلك أظهرت أمريكا فهما عجيبا للموقف ، برغم ان سفيرها فى مصر كان يعتبر الحامى الاول لحمى الملك ٠

## قرار طرد فاروق

بل أكثر من ذلك ٠٠ فانه عندما استنجد فاروق صبيحة يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ بالسفير الامريكى عقب أن حوصرت سراى رأس التين ، فان المستر كافرى كان واعيا وحصيفا فلم يبادر الى استدعاء القوات الامريكية ، مثلا ، لحماية الملك فيهب الشعب كله للمقاومة وتقوم المذابح ٠٠ وانما أرسل مستشار السفارة الامريكية المدعو سباركس الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى ، حيث قابلنا فى الساعة التاسعة صباحا ليطلب فقط باسم الحكومة الامريكية أن يؤمن الملك على حياته الشخصية فقط ٠٠ وكنا قد اتخذنا فى الليلة السابقة قرارا فى هذا الشأن ، وهو أن يطرد الملك بعد تنازله عن

العرش ٠٠ واستبعدنا قرار محاكمته واعدامه ، بعد أن اختلفنا طويلا على ذلك ٠

### صداقتنا للسفير الامريكى

وهكذا بدا لنا ان أمريكا تفهم الاوضاع على حقيقتها بعقلية غير تلك العقلية الاستعمارية ، وبدا لنا أيضا ان لامريكا سياسة أمريكية على خلاف ما كنا نعرف من انها تسير فى ذيل السياسة البريطانية الاستعمارية ٠٠ وخاصة فى هذه المنطقة من العالم التى كان يدعو الساسة البريطانيون الاستعماريون انهم خبراؤها الوحيدون ، ولعل هذا يلقى لك ضوءا يا بنى على ما قلته لك سابقا من أن تصرف الثورة حيال أمريكا كان مناقضا من أول يوم لتصرفها حيال بريطانيا وان صداقة حقيقية انعقدت بيننا وبين السفير الامريكى المستر كافرى وان الرجل كان مخلصا حقا ٠

فمن أول يوم لبينا دعوة المستر كافرى التى دعانا فيها الى العشاء وذهبنا جميعا الى منزله ٠٠ قبل أن يعلم الناس فى مصر والعالم من هم رجال ثورة مصر فى الوقت الذى قاطعنا فيه السفارة البريطانية تمام المقاطعة حتى ان المستشار الشرقى بها كان يبحث ويحاول أن يصل الى معرفة أشخاصنا ، ثم بدأ بعد ذلك يتصل ببعض أصدقائنا من الصحفيين لكي يدلوه على طريقة يتصل بها بنا، أو يكونوا واسطة لاجتماعه بأحدنا ، كان هذا فى الوقت الذى كان السفير الامريكى فيه دائم الاتصال بنا ٠٠ وفى كل مرة كان يظهر تفهما وادراكا لحقيقة أهدافنا مما جعلنا نحس أن أمريكا عازمة حقا على التمسك بما تعلن عنه من انها ضد الاستعمار ٠٠ وانها مع حق تقرير المصير للشعوب الصغيرة التى ابتليت بالسيطرة الاجنبية ٠

**آراء واشنطن**

ويقينى اليوم وبعد كل ما حدث من أمريكا ويحدث أن المستر كافرى كان رجلا مخلصا تمام الاخلاص وانه كان يفكر بعقلية ناضجة لمصلحة أمريكا قبل كل شيء ، ولكن ما حدث بعد ذلك وما يحـدث فى هذه الايام التى أكتب لك فيها هذه الكلمات أثبت بطريقة قاطعة ان آراء المستر كافرى شيء•• وآراء واشنطن وأولئك الذين يجلسون الى المكاتب فيها شيء آخر ••

وأعـود الى الحديث يا بنى فقد ذكرت انه بدأت مرحلة عقب قيام الثورة أطلقنا عليها مرحلة الآمال ، فقد كان أكثر ما تتميز به هذه المرحلة من يوم أن أخطر رسولنا أمريكا بقيام الثورة الى يوم ان وقعت اتفاقية أكتوبر سـنة ١٩٥٤ بين مصر وبريطانيـا والتى نسفها عدوان بريطانيا ، أقول كان أكثر ما تتميز به هذه المرحلة هو الآمال العراض •

وكما قلت لك يا بنى كانت تصرفات السفير الامريكى كافرى تدعو الى الثقة ، لذلك بدأنا أول تجربة معه وكانت خاصة بتسليح الجيش المصرى الذى كان يفتقر الى السلاح بل الى كل شيء ، فلقد كانت السياسة المرسومة بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ هى أن يظل الجيش مفتقرا الى السلاح والذخيرة والعتاد ، وما دام متعهد توريد الاسلحة هى بريطانيا فان ذلك كان كفيلا باحكام السيطرة على هذا الجيش وبالتالى على الشعب الذى لن يجد له حماية فى جيشه وبذلك لن تقوم فى مصر دولة لأن أولى مقومات الدولة هى أن يكون لها جيش قوى يستطيع أن يحميها من أية سيطرة أو تدخل يفرضان عليها من الخارج •

## وعود على الطريقة الامريكية

وحين طلبنا من المستر كافرى الاتصال بحكومته بشأن تسليح الجيش المصرى من حر مالنا جاء رد الحكومة الامريكية فى صورة نسخة مما يسمى « ميثاق الامن المتبادل » وهو عبارة عن اتفاقية قالوا لنا انه بمجرد أن نوقعها فاننا لن نكون بحاجة الى أن ندفع مليما واحدا بل ستتدفق الاسلحة على الجيش المصرى مجانا ، هذا بخلاف المعونات الاخرى ، وقد كان العرض على الطريقة الامريكية محاطا بالتشويق والدعاية المغرية .. فتارة يقولون ان أكثر من أربعين دولة تنعم بخيرات هذا الاتفاق اليوم وتسبح فى بحبوحة الرفاهية ، وتارة يقولون ولماذا تخصصون من ميزانيتكم أية مبالغ تنفقونها على التسليح فى الوقت الذى يمكنكم فيه أن تحصلوا على السلاح بالمجان . بل على أحدث الاسلحة أيضا وهكذا ... فقط وقعوا وبعدها يكون الطوفان .

وقرأنا الاتفاقية ، أى اتفاقية الامن المتبادل هذه ، ظاهرها برىء براءة عجيبة ، أما باطنها فقد أخذ يتكشف لنا سطرا بعد سطر .

ان بعض ما فى هذه الاتفاقية هو أن الجيش المصرى سيكون خاضعا لاشراف بعثة أمريكية عسكرية تتولى التدريب وتتولى التنسيق وبذل النصيحة والمساعدة فى وضع الخطط أى كما يقول المثل البلدى : « كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا »

## بعثة عسكرية

والى سنة ١٩٤٧ كانت توجد فى مصر بعثة عسكرية بريطانية تقوم بنفس الواجبات التى وردت فى اختصاصات البعثة العسكرية الامريكية الموعودة ، فماذا كانت النتيجة ؟

لقد كانت هذه البعثة العسكرية البريطانية أخطر نكبة حلت بالجيش المصرى ، فقد كان أفراد هذه البعثة يمنعون السلاح عمدا عن الجيش المصرى تنفيذا لسياسة بلدهم بريطانيا الاستعمارية ، وكان أفراد هذه البعثة يتجسسون على الضباط المصريين لحساب بريطانيا بل ان الاسلحة التى كان يشتريها أفراد هذه البعثة لحساب الجيش المصرى على انها أسلحة جديدة ·· كانت فى الواقع أسلحة مستعملة فرغ الجيش البريطانى من التمرن عليها · ولقد تلقينا ونحن ضباط صغار بعض هذه الإسلحة وفتحنا صناديقها بأنفسنا على أنها أسلحة جديدة ثم أثبتنا فى محاضر التسليم أنها مستعملة ، لانها كانت فعلا اكثر من مستعملة ·

وكان أفراد هذه البعثة حلقة من أحكم حلقات الاستعمار البريطانى فى مصر فكانوا يطاردون كل ضابط مصرى يشتم منه أنه يحس ببلده أو يعرف لوطنه كرامة أو عزة ·

والآن يطلب منا ان نستقدم بعثة عسكرية أمريكية بعد أن تخلصنا من كابوس البعثة البريطانية · الله ·· الله ··

لقد ظننا أول الامر ان هذا العرض ليس جديا بعد أن قرأنا تفاصيله ، ولكن اتضح أن أمريكا تعرض هذا العرض بصفة جدية مما زاد فى دهشتنا وعجبنا ·

ان هذا العرض ليس الا استعمارا جديدا أنكى وأشد مما عانيناه على يد بريطانيا ، فقد كنا مع بريطانيا ندفع ثمن السلاح رغم كل ألاعيبها ، ولكن أمريكا لا تريد ثمنا للسلاح وانما ستتقاضى الثمن من سيادتنا وكرامتنا ، ستتقاضى الثمن سيطرة كاملة على جيشنا وبالتالى على كياننا ·

**رفضنا العرض**

ورفضنا هذا العرض رفضا باتا

ولما سأل الامريكان عن أسباب الرفض حكينا لهم حكايه البعثة العسكرية البريطانية وقلنا لهم : لن نكون سذجا أو بلهاء مرة أخرى ، ونحن نريد أن نشترى السلاح منكم شراء حرا ولا نريد هبة من أحد ولا نريد أن يكون لأى انسان فضل علينا ٠

ودهشنا أكثر وأكثر يا بنى حينما وجدنا الامريكان لايقتنعون بمنطقنا هذا ، بل يكادون يستنكرونه ٠٠

وهنا تدخل الرجل كافرى مرة أخرى لينقذ الموقف ، فقد أحس أننا نحس مرارة وخيبة من منطق أمريكا الذى لا يختلف عن منطق بريطانيا الا فى انه أشد حمقا وتجاهلا لأمانينا وحريتنا ، وكان الرجل يريدنا أن نفهم أن هذه ليست سياسة واشنطن وانما هى سياسة الموظفين الذين يخضعون للروتين وعلى هذا الاساس طلب كافرى مهلة لكى يعود الى واشنطن مرة أخرى ٠

ويظهر أن الرجل استخدم كل نفوذه محاولا افهام واشنطن الحقائق فجاء الرد أن وافقت أمريكا على صفقة أسلحة للبوليس المصرى كان ثمنها مدفوعا من قبل قيام الثورة بوساطة حكومات ما بعد ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ لكى يسكتوا بها الشعب ، وقالوا لنا وقتها ان هذه الصفقة عربون عن حسن نوايا أمريكا وان موضوع تسليح الجيش المصرى هو قيد البحث لدى المسئولين هناك ٠٠ أو بمعنى آخر سياسة الاسبرين ٠٠ أى اعطاء قرص من الاسبرين للمريض على أمل تهدئته فلا يقطع الامل من طبيبه الجاهل ٠

## أخطر أسلحة الاستعمار

عندما قامت الثورة كانت البلاد قد أشرفت فعلا على الافلاس اقتصاديا ..

فالاحتياطى كله كان قد نفد منذ وقت طويل ·

وأصبحت خزينة الدولة مدينة بأكثر من خمسة وأربعين مليونا من الجنيهات ·

وكان رصيد البلاد من الذهب والعملات الخارجية فى نزول مستمر ·

كل هذا بخلاف ما أشاعه الاجانب من ذعر فى السوق المصرية ، نتيجة لانسحاب الكثير من رءوس الاموال الأجنبية بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ·

وهنا يجب أن أقف قليلا يا بنى لكى أذكر لك أن اقتصادنا كله الى ساعة بدء العدوان على مصر فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ كان فى أيدى الاجانب سواء منهم الفرنسيون والبريطانيون ، أو اليهود من مختلف الجنسيات الاخرى ·

وكانت هذه السيطرة على اقتصادنا ، هى أفتك الاسلحة التى يمارسها الاستعمار فى مصر ، لخنق كل اتجاه نحو التحرر أو الاستقلال بتجويع الشعب ، وافقاره ، واذلاله ·

واستخدمت بريطانيا هذا السلاح فى مصر بنجاح طيلة أربعة وسبعين عاما ·

وشهدنا نحن فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ ـ ولم يكن قد مضى على قيام الثورة الا حوالى الستة أشهر ـ أقول شهدنا فى ذلك الوقت

أول تجربة بريطانية لاذلال مصر بعد الثورة وذلك عن طريق استخدام سلاح الضغط الاقتصادى ٠٠ يوم أن امتنعت بريطانيا عن شراء حصتها فى محصول القطن ٠٠ وكانت هى العميل الاول بالنسبة للسوق المصرية ، بحجة أن لدى الغزالين البريطانيين فائضا من القطن المصرى ٠

## وبعنا قطننا للآخرين

وكان هدف بريطانيا فى ذلك الوقت ، هو ضرب الاقتصاد المصرى ضربة قاتلة ٠٠ بحرمان الخزينة المصرية من المورد الاساسى للعملة الاجنبية وبالتالى حرمان الشعب من الحصول على حاجاته الضرورية ٠٠ فاما أن تقوم ثورة جديدة ، واما أن تسلم الثورة لبريطانيا فيما تريد ٠٠ كما كان يسلم لها الملك ٠٠ وكما كان يسلم لها الزعماء والأحزاب ٠٠

ولكننا لم نسلم لبريطانيا يابنى ٠٠ بل على العكس من ذلك، حررنا سوقنا القطنية من احتكار بريطانيا وحلفائها من المستعمرين.

وبيع قطننا فى تلك السنة

ولا يزال يباع الى اليوم لكل من يدفع ثمنه بعد أن كان محرما على مصر أن تبيع قطنها لغير بريطانيا وحلفائها ٠

ودخلت دول أوربا الاشتراكية واشترت ٠

ودخلت الصين واشترت ٠

ولقد كانت هذه التجربة ، ولما يمض على الثورة أشهر قليلة ، مبعث دراسة مستفيضة منا ٠٠ خاصة وان بريطانيا كانت تسيطر

هي وفرنسا حليفتها على اقتصادنا سيطرة تامة عن طريق البنوك والمؤسسات التجارية ٠

وأسوأ من ذلك كله ، ان بريطانيا وفرنسا خلفتا فى مصر طبقة من رجال الاقتصاد من المصريين ، الذين باعوا شرفهم وكرامتهم ووطنهم لقاء مكافآت مجالس الادارة وأصبحوا عملاء للأجنبى فى سوقنا الاقتصادية ٠

فاذا ما أرادت بريطانيا أن تحقق كسبا سياسيا ، أصدرت أوامرها الى هؤلاء العملاء ٠

فتبدأ البنوك فى التعسف مع التجار فى فتح الاعتمادات مثلا

وتخرج الشائعات قائلة ان الاقتصاد المصرى فى خطر ٠

وان الازمة تأخذ بخناق الناس ٠

وان التجارة توشك على الافلاس ٠

وهم هم الذين صنعوا كل هذا عن طريق البنوك التى كانوا يسيطرون عليها ٠٠ وعلى كل المعاملات ٠

من أجل ذلك اتجهنا يا بنى من أول لحظة الى بناء اقتصاد البلاد بناء سليما على أسس صحيحة مدروسة ٠

وأخذنا نستعين برأى كل من له رأى فى الاقتصاد ٠٠ حتى نستطيع أن نضع خطة لهذه المعركة التى اتضح انها أخطر معركة سنخوضها من أجل استخلاص استقلال البلاد ٠

فالحرب فى هذا الميدان خطرة ٠٠ لانها تتعلق بلقمة العيش التى يمسك بها كل مواطن رمقه ٠٠ انها معركة رغيف العيش الذى يريد أن يحصل عليه كل مواطن من غير تهديد أو مساومة

فى الوقت الذى يسيطر المستعمر وأعوانه على هذا الرغيف ويهددون بحرماننا منه كل مطلع يوم جديد ٠

وكان أول ما انتهت اليه تلك الدراسات هو ضرورة توافر رأس المال الذى يمكن عن طريق استثماره قيام الصناعات التى توفر للبلاد حاجاتها ، وتستوعب العمال ٠٠ وتوفر الرخاء ٠

ويدأت دراسة واسعة لوضع مشروعات السنوات الخمس ٠

ولم نسمع بخبير فى أية بلد الا استقدمناه لكى نفيد بخبرته

وبقيت مشكلة رأس المال ٠٠ وهى مشكلة ذات شقين :

الشق الاول منها محلى وهو فى يد البنوك التى يسيطر عليها الاستعمار ، وأعوانه ، ورجال الاقتصاد ممن باعوا أنفسهم للشيطان ٠٠ فقد تعاون كل هؤلاء على اشاعة جو من عدم الثقة فى السوق المصرية ٠٠ فأحجم أصحاب رءوس الاموال من المواطنين انتظارا منهم لما ينتهى اليه الحال ، أى الى أن ترضى بريطانيا عن الثورة ٠

أما الشق الثانى منها وهو خارجى فيتعلق بضرورة دخول رءوس أموال أجنبية الى جانب رأس المال المصرى ، حتى يمكن توافر العملة الاجنبية التى لايمكن استيراد الآلات والعدد اللازمة بدونها٠٠ وهذه فى يد المستعمرين أنفسهم ٠

## الوعود والأمانى

وكان طبيعيا ألا نفكر فى بريطانيا ونحن ندرس مشكلة رأس المال الأجنبي لأسباب كثيرة :

منها الخلاف السياسى الخاص بجلاء جنودها عن أرضنا ·· وهو ما كنا نصر عليه فى عنف وتصميم ·

ومنها أن بريطانيا خرجت من الحرب العالمية الثانية على شفا الافلاس وانها تحتاج الى وقت طويل جدا لكى تستطيع أن تشفى من جراحها ، وتسترد أنفاسها فى الميدان الاقتصادى ·

لذلك فكرنا فى الاستعانة بأمريكا ، خاصة وان الوعود والأمانى العذاب كانت تنهال علينا عن طريق سفارتها ·

وعود وأمان كانت تشمل كل ما يخطر على بال البشر ·

وأمريكا لم تخرج كبريطانيا من الحرب مفلسة ، بل على العكس من ذلك خرجت مزدهرة ممتلئة ·· وتكدست فيها رءوس الاموال التى تفيض عن حاجتها للاستثمار والرخاء ·

وبمنتهى حسن النية أبلغنا أمريكا اننا نرحب برءوس الاموال الامريكية التى تريد أن تدخل مصر لكى تساهم فى رخاء الشعب ، بشرط أن تخضع للقوانين المصرية شأنها فى ذلك شأن رأس المال المصرى ·

واعتقدنا أن الوعود والامانى لابد أن تفعل فعلها هذه المرة خاصة وأن الامريكى بطبعه رجل بيع ، وشراء ، ودولار ، وفرصة الاستثمار التى سيتيحها بناء مصر من جديد فرصة لا تعوض للكسب الحلال ·

وجاء الرد من واشنطن ·

جاء الرد من واشنطن هذه المرة فى صورة اتفاقية مطبوعة وبنفس الاسلوب الذى جاءت به اتفاقية الأمن المتبادل التى حكيت لك عنها يا بنى ·

أى بطريقة مشوقة ·· مغرية ·

فهذه الاتفاقية الخاصة برأس المال ، يتمتع بخيرهـــا اثنان وعشرون دولـــة وقعوها ··· فتدفقت عليهم رءوس الاموال من غير حساب ·

وهذه الشعوب ·· تنعم اليوم بالرخاء والرفاهية ·

انظروا ·

هذه هى أسماء الدول التى تنعم اليوم بالجنة والترف ·· بعد الفقر والامـــلاق ، وقعوها ·· لكى تكـــونوا الـــدولة الثـــالثة والعشرين ·

## لم نطلب أموالا من الحكومة الامريكية

وقرأنا اتفاقية رأس المال هذه ، فى عناية وحرص شديدين وكلما مضى منها سطر ، التهمنا السطر الذى يليه ·· لكى نعثر على الجنة الموعودة ·· والنعيم المقيم ·

وكان أول ما لفت نظرنا فى هـــذا الامر ، هو اننا لا نريد أموالا من حكومة أمريكا ، حتى تطلب منا أن نوقع معها اتفاقيـــة

وانما نحن قلنا اننا نرحب بكـــل رأس مال أجنبى ، لأى فرد ، سواء كان أمريكيا ، أو من أية جنسية أخرى ··· على أساس أن يفيد ويستفيد ·· ولا دخل لنا مع الحكومات ·

ولكن ·· هذه الاتفاقية ، لم تلبث أن كشفت عن وجه أمريكا ان هذه الاتفاقية تنص على أن رأس المـــال الامريكى الخاص ، الذى يأتى الى مصر ، تضمنه الحـــكومة الامريكية لصاحبه ·· نظير فائدة معلومة بينها وبينه ·

ومن أجل ذلك ، فانه اذا ما أراد صاحب رأس المال الامريكي هذا أن ينسحب من مصر لأى سـبب ، أو اذا طبقت عليه الحكومة المصرية قوانينها ، شأنه شأن رأس المال المصرى ، فان الحكـومة الامريكية تحل محله كصاحبة لرأس المال .

أو بمعنى آخر .

دخل رأس المال باسم « الخواجة فلان » دخولا تجاريا بريئا

فلا يلبث أن يخرج الخواجة فلان .

ويصبح رأس المال التجارى البرىء ملكا للحكومة الامريكية والسياسة الأمريكية .

ويحميه الاسطول السادس الامريكى اذا كان فى البحر المتوسط .

أو السابع اذا كان فى الشرق الاقصى .. الخ .

## تبخرت الآمال

ورفضنا هذه الاتفاقية أيضـا ، باشد مما رفضنا اتفاقية الامن المتبادل ، لانها في جوهرها ، ابشع من اى استعمار ظهر على وجه الارض ، الى يومنا هذا .

ومرة اخرى.. انفضحت الوعود .. وانكشفت الامانى .. وتبخرت الآمال .

وكل هذا ، ولم يمض على قيام الثورة ستة شهور .

وهكذا امسكنا بمفتاح السياسة الامريكية يا بنى .. منذ الشهور الأولى لقيام الثورة .. ولكننا كنا نأمل دائما ان يأتى اليوم

الذى تفهم فيه أمريكا ، انها على خطأ ٠٠ اذا كانت حقا تؤمن بحق تقرير المصير للشعوب ٠ وكنا نأمل ايضا ان تفهم امريكا لماذا رفضنا امضــاء اتفاقية الامن المتبــادل ، مع ان جيشــنا فى مسيس الحاجة للسلاح ٠

ولماذا رفضنا اتفــاقية رأس المال ، وقت أن كان اقتصــادنا يترنح من فرط الاعياء .

ولكن امــريكا لم تفهم الى هذه اللحظة التى أكتب لك فيهــا يا بنى .

بعد ان فشل العدوان .

وبعد ان وقع تطور تاريخى شغل العالم كله ، بحيث أصبح من المستحيل قهر ارادة الشعوب ، او خداعها بطرق جديدة .. هى في حقيقتها افتك الوان الاستعمار .

**الاستعمار يبدأ ببعثة عسكرية**

فاتفاقية الامن المتبادل التى تقدمها امريكا للشعوب البريئة حينما تسعى هذه الشــعوب الى طلب العون لكى تحافظ عــلى كيانها ، ليست الا استعمارا مباشرا صريحا .

يبدأ بالبعثة العسكرية الامريكية ٠٠٠ وامتيازاتها وسيطرتها

وينتهى بالســيطرة الكاملة على مقدرات تلك الشــعوب ، مصائرها ، وأرضها ، وسمائها ٠

وكان من نتيجة ذلك ، ان كل بلد قبلت ، او وقعت هــذه الاتفاقية .. تعانى اليوم فراغا خطيرا في داخلها ، بين الشعوب

والحكام ، ولا بد ان يأتي اليوم الذى تنتصر فيه ارادة الشعوب فتملأ الفراغ .. لان الشعوب هى الباقية .. اما الحكام فهم بشر والى زوال .

واتفاقية رأس المال التى تقدمها امريكا للشعوب الصغيرة الساذجة ، التى تريد ان تبنى اقتصادياتها بعرقها وكفاحها ، مستغلة فى ذلك فقر هذه الشعوب وحاجتها ، ليست هى الاخرى الا استعمارا . اخبث وابشع من كل ما عرفه العالم طوال القرون الماضية على يد حلفاء امريكا .

ونحن نرى اليوم في عام ١٩٥٧ كيف ان الدول التى وقعت فى فخ هذه الاتفاقية ، تعانى التضخم المروع .. وتواجه أكثر من ذلك كارثة محققة لأن اقتصادياتها أصبحت تحت رحمة أمريكا .. وأصبحت تعيش على التسول والاستجداء .

وكما قلت لك يابنى ، فان هذه الثورة تؤمن بالمثل وتقدس القيم .

لذلك كان عمك جمال صريحا دائما فى شرح وجهة نظرنا لأمريكا فى كل هذه الأمور ، ولعل هذا هو ما أحفظها عليه .

فالسياسة الامريكية ، كالسياسة البريطانية ، تؤمن بالمساومة .. وعمك جمال يرفض المساومة كخلق وكمبدأ على السواء ، لأن ما يراد المساومة عليه ، هو من صميم مصالحنا وشرفنا وسيادتنا .

وبرغم رفضنا للاتفاقيتين وتفسيرنا الصريح لهما ، فان أمريكا لم تيأس بل عادت الى الابتسام مرة أخرى ـ بل الى آمال أكثر اشراقا مما بدأت به هذه المرحلة .

## اتفاقية السودان

كنا قد عقدنا اتفاقية السودان مع بريطانيا فى مارس سنة ١٩٥٣ ، وكان السـودان هو الصخرة التى تتحطم عليها كل مفاوضات سابقة بين مصر وبريطانيا بشأن جلاء قوات الاخيرة عن أرض مصر .

هكذا كان يقول رجال السياسة فى مصر .

وهكذا كانت تحتج بريطانيا دائما لكى يستمر احتلالها لمصر

أما وقد عقدت اتفاقية السودان ، فقد زالت أكبر عقبة من الطريق .. وطلبنا من بريطانيا الدخول فى مفاوضات من أجل الجلاء .

وشكل وفد المفاوضة .. وبدأت المفاوضات .

كان واضحا من أول لحظة ان بريطانيا كعادتها .. تساوم ، وتلف ، وتدور ، من أجل ابقاء مصر تحت سيطرتها .

وبقيت أمريكا خارج الحلقة لكى تقوم بدور الوسيط .

ولابد لى أن أعود فأقرر هنا ، ان كافرى سفير أمريكا قام بدور مشرف كرجل يؤمن بالعدالة وبحقوق الشعوب .

واستطاع هذا الرجل أن يزيل من نفوسنا الى حد ما ما أحسسناه من مرارة عقب اكتشافنا لنوايا أمريكا بعد حكاية الاتفاقيتين اللتين رفضناهما .. ولكن واشنطن ظلت مخلصة لأهدافها التى تحويها تلكما الاتفاقيتان .. بل أسوأ من ذلك اتضح لنا أن واشنطن تؤمن بوسائلها وأهدافها الى حد السفه والغرور .

## عقلية ساسة واشنطن

لقد كان يسيطر على عقلية ساسة واشنطن ورجال الحرب فيها بعد الحرب الثانية ـ ولا يزال الى يومنا هذا ـ حلم السيطرة على الشرق الاوسط واخضاعه لاحلاف الغرب لأن ذلك يشكل حلقة من حلقات الحصار الذى تفننت أمريكا وحلفاؤها فى فرضه على روسيا والكتلة الاشتراكية بعد انهاء الحرب العالمية الثانية ٠

والعجيب يابنى أن أمريكا وحلفاءها خاضوا هذه الحرب جنبا الى جنب مع روسيا ضد عدو مشترك هو المحور الذى كان يتكون من المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشستية ، ولكنه ما أن انتهت تلك الحرب حتى انقلب الحلفاء الى أعداء ، وانقسم العالم الى كتلتين ، شرقية وغربية : الشرقية هى روسيا وحلفاؤها من الكتلة الاشتراكية ، والغربية هى أمريكا وحلفاؤها من الكتلة الرأسمالية .

ومن هنا ينشأ جوهر مشكلتنا مع أمريكا وحلفائها الذين لم يتورعوا عن ان يشنوا هجوما مسلحا على مصر ، ويقتلوا النساء والاطفال ، ويهدموا البيوت لأننا نصر على أن لا نتبع الغرب أو الشرق .

## عجلة أمريكا وحلفائها

من أجل هذا ظلت أمريكا تمنى نفسها طويلا بربطنا الى عجلتها وعجلة حلفائها بدلا من ان نسير فيما ارتضيناه لانفسنا من حياد بين الكتلتين ، فلما فشلت تآمرت مع حلفائها لتجويع شعب مصر بسحب معونة السد العالى ظنا منها أن ذلك سيخضع هذا الشعب فيركع لها على ركبتيه ٠

ومن أجل هذا أيضا تطلق أمريكا صحافتها اليوم فى سعار مجنون لكى تجعل من عمك جمال ديكتاتورا متعنتا لأنه يتمسك بحقوق شعبه وبكرامته وبسيادته ، ولكى توهم العالم أن مصر الدولة الصغيرة الشابة انما هى غول سيفتك بأمن العالم وبسلامته .

# الفصل السابع

* الخلاف بيننا وبين الغرب
* قالوا عمك جمال ديكتاتور !
* العدوان السلمى
* المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

## الخلاف بيننا وبين الغرب

واعود الى حديثى فاقول ، ان أول خلاف جوهرى وقع بيننا وبين الغــــرب بزعامة أمريكا كان على نظرية الأحلاف ، فأمريكا كانت قد أعدت حلقات من الاحلاف تطوق بها روسيا الا حلقة واحدة هى حلقة الشرق الأوسط ، لذلك عرضــت علينا أول الامر حكاية الامن المتبــادل التى تستطيع بوســاطتها أن تســيطر على قواتنا المسلحة ، فلما رفضناها رفضا باتا أصبح لابد من طريق آخر ..

وظهرت نظرية الدفاع عن الشرق الاوسط ..

بدأت امريكا بحكاية « الخطر الشيوعى » الداهم الذى يهدد المنطقة ..

وبدا واضحا لنا يابنى بعد حكاية الاتفاقيتين اللتين حكيت لك عنهما وهما « اتفاقية الامن المتبادل » و « اتفاقية رأس المال » أن السياسة الامريكية ليست لله ، ولا لحق تقرير المصير ، ولا لنصرة الشعوب الصغيرة كما تقول الدعاية ..

وهى ليست أيضا سياسة بريئة مستقيمة مجردة من الاهداف والغايات كما يحاول الدبلوماســيون الامريكان أن يقنعوا النــاس دائما على طريقة « الهليهلية » الامريكانية ـ وانما هى سياسة

ذات أهداف محددة مرسومة وغايات أشد جشعا وأكثر فتكا من كل ما استنبطه الاستعمار فى القرون الماضية ·

فالاله فى أمريكا ليس هو الله الذى عرفتنا به الكتب السماوية وأرشدنا اليه الأنبياء ..

وانما الاله في امريكا هو الدولار ..

هو الذى يعز وهو الذى يذل ، هو الذى يمنح ، وهو الذى يمنع ، هو مصدر كل القيم خلقية كانت أو بشرية ، هو المسير لهذا الكون ، وهو المنظم لفلك هذه الحياة ، هو الظاهر فوق الخلق ، والذى تذل له رقاب البشر وينحنى أمام جلاله دهاقين السياسة وقادة الشعوب ، هو الذى يأخذ بريقه يالابصار ويسيل له لعاب الناس فى كل الأمصار ، هو النور اذا وجد ، والظلمة اذا أختفى ، هو اصل الحياة ومنتهى آمال الكون ، هو الذى يهب الحماية والاستقلال ، وكل ما عداه ذل واستعباد ·

هو الدولار لا اله الا هو فلتخضع له العباد ولتسجد له الشعوب .

## ديانة أمريكا الداخلية

وكان يمكن أن يكون الخطب يسيرا اذا احتفظت أمريكا لنفسها بهذه الديانة ، وذلك الاله داخل حدودها ، ولكن الامر تعدى ذلك الى الخروج بهذه الديانة الى العالم لا للتبشير بها ، وانما لارغام الناس بكل الطرق على اعتناقها والايمان بها ، والا كان التهديد ، وكان الوعيد ، وتحركات الاسطول ذى البأس الشديد .

انثى أكتب لك يابنى هذه الكلمات فى مستهل ١٩٥٧ أى بعد

حوالى خمس سنوات من الوقت الذى وقعت فيه مسألة اتفاقيتى الامن المتبادل ، ورأس المال ، وخلال هذه السنوات الخمس وقعت تطورات هائلة أحدثت تغييرا شاملا فى تاريخ البشرية .

ومع ذلك فالسياسة الامريكية ، التى قلت لك : ان لهاأهدافا محددة مرسومة ، مازالت فى سنة ١٩٥٧ كما كانت في سنة ١٩٥٢ بل زادت سوءا وتبجحا بعد ان كانت فى الماضى تصطنع بعض الحياء .

ويقينى يابنى أن ذلك يرجع الى عدة أسباب منها :

أولا : ان الاله الذى اتخذته أمريكا لنفسها اله ابكم وأعمى وأصم وهو الدولار ، فبينما يغفر الاله الذى نعرفه نحن فى بقية انحاء العالم ، فان اله أمريكا لا يرحم لانه من مادة عناصرها الجشع والطمع والسيطرة .

وبينما يحب الاله ، الذى نعرفه ، البشرية جمعاء لا فرق بين أبيض ولا أحمر ولا أسود ولا أصفر .

نرى اله أمريكا لا يحب الا ذاته ويعتقد أن البشر قد خلقوا للتزلف له والمهانة بين يديه .

ولعل هذا يفسر الغرور الذى تتسم به تصرفات أمريكا فى السياسة بل وفى أبسط مظاهر الحياة ، وكأن الله لم يخلق شعبا أوتى من كل شىء الا هذا الشعب .

### اله أمريكا هو اله الصهيونية

ومن هذه الاسباب أيضا سيطرة الصهيونية العالمية المطلقة على كل شىء فى أمريكا .

وهذا الامر لم يأت اعتباطا ولا من قبيل المصادفة ، فاله الصهيونية هو نفس اله أمريكا .. هو الدولار ..

وخطط أمريكا هي نفس خطط الصهيونية التى تهدف الى السيطرة على العالم ..

وضمير أمريكا مشتق ـ للأسف ـ من ضمير الصهيونية الذى لا يعترف بالعدالة ، ولا بالقيم ، ولا بالحقوق .

فالعدالة فى نظر أمريكا والصهيونية تعنى أن كل جريمة ترتكب لمصلحة امريكا او الصهيونية هى عدل وحق ، وكل فضيلة على وجه الارض لا تعود على أمريكا والصهيونية بالمغانم والمكاسب فهى رذيلة مذمومة مهما كان رأى الشرائع والاديان .

ان هذه النقطة بالذات ، وهى سيطرة الصهيونية على أمريكا تشكل المحور الاساسى لعلاقاتنا مع امريكا ، وتفسر الكثير من تصرفات أمريكا المتناقضة والتى ستظل متناقضة وعمياء حتى يكتب الهنا الحقيقى لامريكا الخلاص ان كان لها خلاص .

لقد اعترف « ترومان » رئيس أمريكا بقيام دولة اسرائيل من قبل أن تعلن العصابة الصهيونية فى تل أبيب قيامها ، وخرجت صحافة العالم فى اليوم التالى تحمل صورة رئيس أمريكا وهو يحتضن العلم الاسرائيلى اعلانا للعالم بأن الدولة الجديدة ربيبة امريكا .. ومن صنع يديها .. وفلذة من فلذات كبدها .

ولم تحفل امريكا أن يكون قيام هذه الدولة على أرض مغتصبة .. وحقوق مسلوبة .. وأشلاء وجماجم ومذابح يندى لها جبين البشرية ، بل على العكس من ذلك لازالت أمريكا الى هذه اللحظة يابنى تغدق على اسرائيل كل شىء حتى بعد ان دمغها العالم كله بالعدوان والخيانة والغدر ، فقد كافأتها أمريكا

على العدوان باعتماد المساعدات جهارا نهارا لكى يستقيم اقتصاد اسرائيل الذى حطمه العدوان ، وكافأتها برسالات الاغذية والقمح التى أرسلت الى اسرائيل مجانا فى الوقت الذى رفضت فيه أمريكا نفسها أن تبيع مصر قمحا بحرمالهـا ، وأدوية كان الشعب فى حاجة اليها ، ومصر هى المعتدى عليها واسرائيل هى المعتدية

**استنكر الناس حتى الامريكان**

وقد تعجب يا بنى حين تقرأ هذه الكلمات من هـذا المنطق الأمريكى السخيف المغرور ، ولكن هذه هى الحقيقة التى نعيش فيها اليوم ، وأمريكا لا زالت تعتقد انها تستطيع ان تشترى كل شيء بالدولار حتى الضمائر والخلق والكرامات ، وسترى يابنى انه خلال المراحل الثمانى التى أروى لك قصتها والتى بدات بمرحلة الآمال ، أقول سترى يا بنى ان هذا المنطق الامريكى المقلوب المغرور ظل يوجه سياسة أمريكا فى كل مرحلة منها الى ان انتهى بأمريكا الى نوع من الهستريا جعلها تخرف فتتهم الوطنية بأنها شيوعية دولية وترسل بأكبر حاملة طائرات فى العالم الى البحر الابيض المتوسط لكى تؤكد للدول العربية الصغيرة قوتها وبأسها فى مشهد أضحك الناس ، واستنكره العـالم بما فيه بعض الأمريكيين انفسهم .

ولنعد يا بنى الى مرحلة الآمال :

فانه بالرغم من المعـانى التى خرجنا بهـا من قصة اتفاقيتى الامن المتبادل ، ورأس المال ، فاننا لم نفقد الامل فى أمريكا ، وكنا قد انتقلنا الى سنة ١٩٥٣ ، وقلنا لعل أمريكا تريد أن تجس نبضنا بهذه الاتفاقيات كما فعلت مع غيرنا ولعلها بعد أن تلقت ردنا بالرفض ان تعود الى رشدها وتعرف اننا لن نقبل اية سيطرة

أجنبية تحت اسم أو ستار ، وان الدولار بالنسبة لنا لا يعنى أكثر من انه دولار ، ولن يكون الها لنا نعبده من دون الله .

## الكشف الذى طلبته أمريكا

ثم حدثت مفاجأة جديدة .. فقد أرسلت الحكومة الامريكية تطلب منا ان نوافيها بكشوفات الاسلحة والمعدات التى نريد شراءها لاستكمال تسليح الجيش ، واعتقدنا ان تغييرا لا بد قد حدث فى العقلية الأمريكية معناه أن أمريكا بدأت تتفهم موقفنا وأنها تريد صداقتنا ، وأعددنا الكشوف فعلا وكنا قد تعبنا من قبل في اقناع الأمريكان اننا لانريد السلاح لنعتدى به على احد بل لندافع به عن أنفسنا ، فنحن نريد أن نبنى بلدنا ولن نستطيع أبدأ أن نبدأ البناء والتهديد قائم على حدودنا ، وفى قلب وطننا العربى ، وأرسلنا هذه الكشوف الى الحكومة الأمريكية وجلسنا تمنى النفس بالآمال من جديد .

ولم يمض وقت طويل حتى جاء رد الحكومة الأمريكية .. لقد كان هذا الرد ايذانا ببدء فترة من فترات المطاولة وكسب الوقت من جانب أمريكا حتى تعدل خططها لكى تصل الى نفس أهدافها المرسومة ، ولكى نظل نحن فى الحلم اللذيذ فلا نفيق أبدا حتى لا ندرك الحقيقة .

فماذا قالت الحكومة الامريكية فى ردها ؟

جاء رد الحكومة الأمريكية يا بنى يقول : انها تلقت كشوفات السلاح المطلوبة للقوات المسلحة المصرية ، وانها ـ أى الحكومة الامريكية ـ قد اعدت فعلا بعض هذه الاسلحة للشحن .. فانها ترى أن تقوم بعثة من الضباط المصريين لمعاينة هذه الشحنات قبل شحنها فى أمريكا ، ومن جهة أخرى .. فان هذه

البعثة تستطيع ان تعاين أيضا مختلف الأنواع الأخرى من الأسلحة الأمريكية .. التى لم تعد بعد للشحن .. وأية أسلحة أخرى قد تكون ذات فائدة ، ولم ترد فى الكشوف المصرية .

ولم نضيع دقيقة واحدة بعد وصول هذا الرد ، فقد عينت القيادة العامة أفراد البعثة المصرية .. وزودتها بكافة التعليمات اللازمة . ومن جهة أخرى بدأت السلطات المصرية فى دراسة التفاصيل المالية الخاصة بهذه الصفقة مع السفارة الامريكية .. فالصفقة لم تكن معونة ولا هبة .. وانما كان الاتفاق على ان تكون صفقة تجارية بحتة لا دخل فيها للسياسة ولا للقيود أو المساومات .

## سفر البعثة

وسافرت البعثة الى أمريكا ، وفى كل يوم كنا نترقب أنباءها فى شوق ولهفة .. برغم انه لم يكن قد مضى على قيام الثورة الا شهور ... وكان الوضع الداخلى يستحوذ على كل اهتمامنا واوقاتنا ، ولكننا كنا نؤمن من اول يوم ان أى بناء فى الداخل سوف يكون بناء على الرمال اذا لم يكن للشعب جيش يستطيع ان يدفع عنه العدوان من الخارج .. وعدونا ليس بعيداً عنا .. وانما يقبع على حدودنا ويتربص بنا ليل نهار ، بل ان هذا العدو يتلقى كل يوم طوفانا من المعونات .. تارة على شكل أموال ، وتارة أخرى على شكل سلاح وعتاد .. لكى يكبر وينمو ويفرض وجوده بالحرب والعدوان .

## مفاجأة

وبينما نحن ننتظر البعثة التى سافرت لكى تعاين الأسلحة

كما طلبت امريكا ، فوجئنا فى يوم بعودتها من أمريكا ثم جلسنا نستمع الى تقرير أعضائها .

فلم يكن هناك سلاح معد للشحن .

والذى سمح للبعثة أن تعاينه لم يكن الا أنواعا من الاسلحة الصغيرة التى لم نطلبها ولسنا فى حاجة اليها البتة .

واكثر من ذلك ، فان البعثة أوضحت كيف أهملت من جانب الحكومة الامريكية أهمالا تاما ، وكيف ان المسئولين الامريكيين الذين احتكوا بأفراد البعثة فى الحفلات الخاصة كانوا لا يعلمون شيئا عن هذا الموضوع ، بل أكثر من ذلك أحس أفراد البعثة بحذر شديد من كل من قابلوه من المسئولين الامريكيين ، ولما سألوا عن الكشوفات المصرية التى أرسلت للحكومة الامريكية كطلبها ، لم يرد عليهم أحد بخير أو بشر .. وتركوا عاطلين فى واشنطن لا أحد يتصل بهم ، ولا أحد يجيبهم اذا سألوه .

وهكذا اتضح لنا يابنى أن الامر لم يكن الا نوعا من التخدير ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه السفارة الامريكية هنا فى مصر لاتزال تبذل الوعود ، وتطلق البخور ، وتبشر بالخير العميم والآمال العظام .

**محاورات أمريكا**

لقد وصلنا الى هذا الموقف فى مستهل عام ١٩٥٣ .. اى بعد مرور ستة أشهر فقط على قيام الثورة ، ومع ذلك لبثت أمريكا تحاور وتناور طوال سنة ١٩٥٣ ، وسنة ١٩٥٤ بغرض كسب الوقت وتخديرنا أطول فترة ممكنة حتى تأتى اللحظة الحاسمة فنسلم لها فيما تريد من استقلالنا ، وسيادتنا ، ومصيرنا .

ففى مارس سنة ١٩٥٣ بدات مفاوضات السودان بيننا وبين بريطانيا وانتهت بتوقيع اتفاقية السودان ، وتلا ذلك مفاوضات الجلاء بيننا وبين بريطانيا فى نفس الصيف من هذا العام ، ولم تضيع أمريكا هذه الفرصة فطلبت الينا أن نؤجل موضوع الاسلحة الى ما بعد الوصول الى اتفاق بيننا وبين بريطانيا ، وقالت فى تبرير ذلك ـ ان الانجليز هم حلفاؤها الأول ، وان المفاوض البريطانى سوف يحس بالحرج حين يرى الاسلحة ترد الى مصر فى الوقت الذى لم يتفق فيه على الجلاء ، وقد يظن البريطانيون أن فى هذا العمل تغليبا للمفاوض المصرى على البريطانى .. وطلبت منا أمريكا أن نقدر ظرفها على أن نكون واثقين تمام الثقة أنه فى اليوم الذى نوقع فيه اتفاقا مع بريطانيا ـ فان أمريكا ستبادر وتبيعنا كل ما نريد من أسلحة .

ووافقنا على هذا العرض من جانب أمريكا

فان موافقتنا أو عدم موافقتنا لم تكن تجدى بعد ان اتضح لنا ما اتضح من نوايا أمريكا بعد حكاية ميثاق الامن المتبادل ، واتفاقية راس المال ، والبعثة المصرية . ولا أقول اننا فقدنا الامل نهائيا من ناحية أمريكا فى تلك الظروف وانما قلنا المثل العامى عندنا « خليك مع الكداب لحد باب الدار » .

وبدأت مرة أخرى فترة مزدهرة من فترات مرحلة الآمال .

فقد بدات المفاوضات بيننا وبين بريطانيا فى صيف سنة ١٩٥٣ من أجل الجلاء فى جو كئيب مظلم ، وبدات بريطانيا ، كما كنا نتوقع تماما ، بداية لا يمكن معها المضى شبرا واحدا ، فبريطانيا تؤمن بالمساومة كخلق وكمبدأ ، ونحن نرفض المساومة ونعتبرها خلقا رديئا لا يستقيم مع الشرف ولا مع المبادىء .

وأمر آخر .

ان بريطانيا حين تساوم فى قضية كقضية الجلاء فانها تساوم على شيء لا يخصها ولا تملكه ، وهى مصر ، ولكن مصر حين تقبل مبدأ المساومة فانها تكون قد سلمت فى كل شيء ، لأن أية مساومة .. مهما كانت ضئيلة تعنى أن تعطى مصر ، واذا أعطت مصر تكون قد جزأت سيادتها ، ولما كانت السيادة لا تتجزا .. فان النتيجة هى أن مصر تكون قد سلمت فى أعز شيء وهو السيادة فى الوقت الذى لن يفقد فيه الطرف الآخر شيئا على الاطلاق لأنه ــ فضلا عن تمسكه بسيادته ــ يفرض على بلدنا أيضا هذه السيادة .

## قالوا عمك جمال دكتاتور !

انهم يقولون فى مسألة تأميم القناة .. ان عمك جمال صلب ويثير المتاعب لأنه لا يقبل المساومة .. ثم يكملون القصة بأن عمك جمال دكتاتور لأنه يريد أن يملى ارادته .

وحتى اذا سلمنا أن المساومة لا تتعارض مع الشرف ، ففى أى شيء كان سيساوم عمك جمال فى القناة ؟ .

ان القناة ملك لمصر وجزء لا يتجزا منها .. باعتراف كل المعاهدات الدولية ، واعتراف بريطانيا وامضائها فى أكثر من معاهدة .

ومصر أممت شركة القناة .. وهى شركة مصرية تخضع للقانون المصرى .

ومصر التزمت ــ بعد التأميم ــ بأن تباشر جميع المسئوليات

التى كانت تقوم بها الشركة المؤممة ، وأعلنت على لسان عمك جمال رسميا تمسكها بمعاهدة ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة .

فماذا بقى ليساوم عليه عمك جمال يابنى ٠٠ كما يريدون ؟

**أرادوا فرض استعمار جماعى**

لم يبق الا شيء واحد هو أن يسلم لهم عمك جمال فيما كانوا يريدون قبل العدوان ، وأثناء العدوان وبعده ، وهو ان يفرضوا على مصر استعمارا جماعيا تحت اسم « اللجنة الدولية » - بعد أن كان هذا الاستعمار استعمارا انجليزيا فقط - تشترك فيه هذه المرة أمريكا وفرنسا وتوابعهما وذيولهما الذين يعيشون على الصدقة والاستجداء .

ورحم الله الخجل ٠٠ ورحم الله الحياء .

أعود بك الى حديثى يابنى ، ففى الفترة الباقية من مرحلة الآمال ، أى من صيف سنة ١٩٥٣ الى ان وقعت اتفاقية الجلاء التى نسفها العدوان ، أقول كان سلوك أمريكا فى هذه الفترة مشرقا باسما .

فقد استمرت هذه المفاوضات قرابة سنة ونصف ، كانت بريطانيا تبذل فيها كل جهدها وتصطنع صنوفا من الحيل والخداع لكى تجعل لها فى سيادة مصر حقا ، وانقطعت هذه المفاوضات أكثر من مرة ، بل اننا فى نهاية عام ١٩٥٣ ٠٠ وبعد أن قطع عمك جمال المفاوضات للمرة الثانية ، اجتمعنا وقررنا القيام بمعركة مسلحة لطرد بريطانيا من مصر وحددنا لهذه المعركة شهر يناير سنة ١٩٥٥ ، وكلف جميع الوزراء فى هذا الاجتماع بتوجيه سياسة وزاراتهم نحو انجاز هذه المعركة .

فى هذه الفترة بالذات بدت أمريكا ـ كما قلت لك يابنى ـ مشرقة باسمة .

وقد حكيت لك يا بني فيما مضى عن سفير أمريكا فى ذلك الوقت وهو المستر كافرى، وأعود مرة أخرى فأقول ان هذا الرجل كان يبذل كل ما يستطيع لكى يصحح أخطاء واشنطن عن فهم وادراك لا لنفسيتنا وحدها وانما لمصلحة أمريكا ذاتها .

## دور أمريكا فى مفاوضات الجلاء

واليوم ، وبعد كل هذه السنين والتجارب استطيع أن أقرر لك يابنى حقيقة الدور الذى قامت به أمريكا فى خلال مفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا .

لقد قدمت أمريكا مساعدة أدبية لمصر فى هذه المفاوضات وهذه حقيقة .

ولكن هل كانت أمريكا تؤمن بحق مصر وهى تقدم هذه المساعدات ؟ .

ان الواضح يا بنى أن أمريكا أخذت بمشورة سفيرها كافرى ولكن لأغراض أخرى هى نفس الأغراض التى تريد أمريكا أن تحققها اليوم بعد أن فشلت بريطانيا ، وفرنسا فى عدوانهما على مصر .

لقد كانت أمريكا تريد دائما ، يابنى ، ولا زالت الى هذه الساعة التى أكتب لك فيها هذه السطور فى عام ١٩٥٧ ، أقول كانت أمريكا تريد أن تفرض سيطرتها على مصر بوسائل تظن أنها تخفى على الناس فى الوقت الذى أصبحت فيه سخرية كل الناس .

## العدوان السلمى

بدلا من أن تستخدم أمريكا وسائل بريطانيا الاستعمارية العتيقة المكشــوفة ، نراها تلجأ الى وســائل جـديدة لكى تحقق لنفسها أهداف الاستعمار البريطانى المنهار

كانت بريطانيا تطلق على اغتصابها لأرض الغير ، وابقــاء جنودها وقواعدها فيها كلمة « احتلال »

وأمريكا تطلق اليوم على نفس العمل كلمة « أمن متبادل »

وكانت بريطـانيا تتحكم فى أرزاق العباد بســيطرتها على منطقة الاسترلينى ٠

وأمريكا تريد اليوم ان تتحكم فى أرزاق العالم كله بسيطرتها على البنك الدولى ٠

وكانت بريطانيا ولا تزال تتوسل الى تحقيق أهدافها فى البلاد الاخرى بأحداث الفتن والانقلابات والمؤامرات تحت اسم مصــالح الامبراطورية البريطانية ٠

وأمريكا تفعل اليوم نفس الشىء بصــورة أكبر وابشع تحت اسم « الخطر الشيوعى » تارة و «الشيوعية الدولية » تارة أخرى ٠
ولما فشل عدوان بريطانيا وفرنسا فى تحقيق اهدافه فى مصر قامت أمريكا لتحقيق نفس أهداف العدوان ولكن بطرق سلمية ٠

فقد رفضت أن تفرج عن أرصدة مصر ، ورفضت أن تبيع لنا القمح والدواء ونحن معتدى علينا فى الوقت الذى وهبته لاسرائيل المعتدية لالشىء الا لفرض حصار اقتصادى تتوهم أمريكا أنها ستفلح بمقتضاه فى اسقاط عمك جمال عبد الناصر وهو نفس هدف عدوان بريطانيا وفرنسا ٠

وأمريكا تردد على لسان المسئولين فيها ، وعلى رأسهم أيزنهاور نفسه ، بحق اسرائيل فى استخدام قناة السويس وخليج العقبة اعتقادا منهم ان ذلك سيخلق ضغطا سياسيا على مصر يجعلها تسلم فى النهاية لمطالب اسرائيل وأطماعها ، وهو نفس هدف عدوان بريطانيا ، وفرنسا ، واسرائيل •

وأمريكا تعلن على لسان وزير خارجيتها تأييدها لفرنسا ضد المجزرة البشرية التى ترتكب ضد عرب الجزائر ، وتعلن أيضا عن تصميمها على تزويد فرنسا بالمزيد من الاسلحة لكى تستمر هذه المجزرة، وتحرك أسطولها ـ فى نفس الوقت ـ فى البحر الابيض المتوسط للتهديد والوعيد لكى تفتت العالم العربى وتفرض عليه نفوذ الغرب •• وهو نفس هدف عدوان بريطانيا وفرنسا •

وأردت من سرد هذه المقارنات يابنى أن أقول لك ان أهداف أمريكا فى عام ١٩٥٢ يوم قيام الثورة هى نفس أهداف أمريكا عام ١٩٥٧ بعد فشل العدوان ، وان أية مساعدة تقدمها أمريكا ليست لله •

ولقد قدمت لنا أمريكا يا بنى مساعدة فى مفاوضات الجلاء ، فماذا كان الثمن الذى طلبته ؟

## المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

من عادتى ان أحتفل بعيد مولدى على غير ما تعود الناس أن يحتفلوا بأعياد الميلاد ، فأنا أركن فى هذا اليوم من كل سنة الى الوحدة ، والتأمل ، التأمل فى الماضى ، والحاضر ، والمستقبل ، بل اننى أستعيد كل ما مضى من حياتى منذ ان بدأت أدرك الاشياء وأحس من حولى بهذا الكون •

أستعيد كل شيء استطاعت ذاكرتي أن تختزنه أو تنفعل به ، وأستعرض موكب عمرى عبر السنين الماضية بكل مافيه من مشاهد فيها الالم وفيها الفرح ، فيها اليأس وفيها الامل ، فيها السذاجة وفيها النضج ، فيها الفشل وفيها النجاح ، فيها الخيبة وفيها اليقين ، فيها الخطأ وفيها الصواب ٠

مشاهد فيها من كل مايحيط بالبشر - فى هذا الوجود - من صروف وانفعالات ، وتراني يابني وأنا أستعرض هذا الموكب فى قمة النشوة وأوج السعادة ، فأنا اجد نفسى واعرفها من خلال رحلة هذا الموكب ٠

أعرفها فى الخطأ كما أعرفها فى الصواب ، وأعرفها فى الفشل كما أعرفها فى النجاح ٠

ومن وجد نفسه واهتدى اليها يا بنى فى خضم هذه الحياة طابت له الايام ، وعمر قلبه اليقين ، واستطاع ان ينعم ضميره بالنور والصفاء ٠

هكذا أعيش يوم مولدى فى تأمل لذيذ يا بنى ، واستمتع فيه بأجمل وأشهى لحظات أعيشها على ظهر هذه الدنيا ٠

**٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥٤**

وفى يوم ذكرى مولدى سنة ١٩٥٤ الذى يوافق يوم ٢٥ ديسمبر من كل سنة جلست أتأمل على عادتى ٠

كان الاتفاق المصرى البريطانى الخاص بالجلاء قد وقع فى شهر أكتوبر من السنة نفسها وكنا نتأهب لاستقبال مرحلة جديدة فى العلاقات بيننا وبين بريطانيا وأمريكا ٠

أما بالنسبة لبريطانيا فاننا بدأنا نحس بعض الـــراحة بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، اذ أن المعركة المسلحة التى كنا نعــد لهـا لطرد بريطانيا من مصر وما يصــاحبها من خســائر وتكاليـف وتعويق لعملية البناء فى الداخل ، أقول أصــبحت هــذه المعركة غير ذات موضوع وهذا وحده كسب ضــخم يضاف الى الجــلاء . وبدأنا نفكر فى اقــامة علاقاتنا مع بريطانيــا على أسس غير تلك الشكوك التى كانت تملأ صــدورنا نتيجة لتصــرفات بريطانيا طوال أربع وســبعين ســنة متصلة من الخداع والـــكذب والسيطرة ·

وهناك عامل آخر يا بنى كان يحتم علينا أن نعيد بناء علاقاتنا مع بريطانيا ، هذا العامل هو أننا وقعنا اتفاقية الجلاء ــ وهى اتفاقية صداقة فى الوقت نفسه ـ ونحن نحترم توقيعنا مهماكانت الظروف ·

وأما بالنسبة لأمريكا فاننا كنا نحس نحوها بالعــرفان لما قدمته من مســاعدات أدت فى نهـاية الامر الى توقيع اتفـاقية الجلاء ، وحدت من غلواء بريطانيا أثناء المفاوضـــات فى مواطن كثيرة ، ولقد كان هذا الشعور مشجعاً لنا لكى نعــود فنطلب من أمريكا أن تنجز وعدها الذى أخذته على نفســها بالبدء فى بيــع السلاح لنا عقب توقيع اتفاقية الجلاء ، ونسينا حكاية الأمن المتبادل التى صدمتنا بها أمريكا فى الماضى ونسينا كل ماساورنا من شكوك سابقة بشأن اتجاه السياسة الامريكية ·

### آمال لم تدم طويلا

وبالجملة كان كل شىء يبشر بالأمل والخير والبركة بيننا وبين كل من بريطانيا وأمريكا عقب توقيــع اتفاقية الجلاء فى اكتوبر سنة ١٩٥٤ · ولكن هذه الآمال لم تدم طويلا ، اذ أنه ما أن طلبنا

من أمريكا أن تفى بوعدها وتبيع لنا السلاح حتى عادت تتحدث عن حكاية الدفاع عن الشرق الاوسط ، ونظريتها فى ذلك التى تخالف نظريتنا تمام المخالفة ، والتى كانت محل خلاف لا أمل فى اصلاحه بيننا وبين كل من بريطانيا وأمريكا سواء أثناء المفاوضات أو قبلها ·

ولم نيأس ، وانما بدأنا نقنع أمريكا من جديد بأن الدفاع عن الشرق الاوسط يجب أن ينبثق من داخله وأن يقوم به أبناؤه ، وانضمت بريطانيا الى أمريكا فأخذنا نقنعها هى الاخرى على أساس ان النيات سليمة كما كانت نيتنا نحن ، وان الامر لايعدو أن يكون مناقشة بين أصدقاء تنتهى باقتناع أحد الطرفين بنظرية الآخر ·

**حتى يتم طبخ المؤامرة**

ومرة أخرى كنا سليمى النية وطيبين أكثر من اللازم يا بنى ·

فقد كانت أمريكا وبريطانيا قد دبرتا فيما بينهما أمرا ، ولم يكن الحديث معنا الا من باب المطاولة والتضليل حتى يتم طبخ المؤامرة لكى تظهر على الملأ ·

بدأت هذه المؤامرة يا بنى بوصول السيد نورى السعيد رئيس وزراء العراق فى ذلك الوقت الى القاهرة ، وهو فى طريقه الى لندن، واجرائه مباحثات مع عمك الرئيس جمال ، وكانت خلاصة حديث نورى السعيد هى أنه لا سبيل للعرب الا بالتعاون مع الغرب وان أول خطوة لذلك امضاء تحالف مع بريطانيا وأمريكا

سيكون هو سبيل الحصول على الاسلحة والحماية فى هذا العالم المضطرب ٠

وكان عمك جمال صريحا واضحا يا بنى ، فقد أفهم السيد نورى السعيد أن مصر لا ترفض تعاون الند للند القائم على المساواة التامة ، ولن تتحقق هذه المساواة ونحن ضعفاء والطرف الآخر قوى ، فالتعاون فى هذه الحالة ، معناه تحكم الغرب فينا . كما كان يحدث فى الماضى ٠

أما مبدأ الاحلاف فقد رفضه عمك جمال يا بنى من أساسه لأن هذه هى السياسة التى يؤمن بها شعب مصر حتى من قبل الثورة ٠

ثم أثار عمك جمال القضايا العربية التى بين العرب والغرب والتى يرفض الغرب بعناد أن يعيد فيها الحقوق الى أصحابها العرب ٠

**التعاون ممكن ٠٠ ولكن بشرط**

وانتهى عمك جمال يا بنى الى أن التعاون ممكن فى كل الظروف بشرط أن تخلص النيات ٠

وشرح للسيد نورى السعيد نظريتنا فى الدفاع عن الشرق الاوسط والتى سبق شرحها مرارا لبريطانيا وأمريكا ، وأن العدو الحقيقى لهذه المنطقة ليس هو الذى يعيش على بعد آلاف الاميال ، وانما هو اسرائيل التى تقبع فى قلب الامة العربية وفى قلب الشرق الاوسط ٠

ولم يقتنع السيد نورى السعيد طبعا ، ولكنه قال فى ختام حديثه انه ذاهب الى لندن لكى يستبدل المعاهدة العراقية ـ

البريطانية باتفاق كالاتفاق الذي وقعته مصر مع بريطانيا بشأن الجلاء ، وسافر السيد نورى السعيد الى لندن ثم عاد الى تركيا ·

حدث كل هذا فى الشهرين الأخيرين من سنة ١٩٥٤ أى فى نوفمبر ، وديسمبر سنة ١٩٥٤ وايراد هذه التواريخ مهم يا بنى لأنك ستحتاج اليها ·

## أول قرار علنى بالاجماع

وفى ديسمبر سنة ١٩٥٤ حدث حادث آخر ، له دلالته من وجهة نظر علاقات العرب بالغرب ·

فقد اجتمع وزراء خارجية الدول العربية فى القاهرة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، على ما أذكر ، وقرروا لاول مرة علنا أن التعاون مع الغرب ممكن بشروط : منها تسوية القضايا العربية ، ومنها أن يمد الغرب العرب بأسباب القوة ·

والمهم فى هذا القرار انه أول قرار يصدر علنا وبالاجماع وينشر على الشعوب العربية كلها ، وفيه امكان التعاون مع الغرب برغم ما بين هذا الغرب والشعوب العربية من ثأر على رأسه مشكلة فلسطين ، ولكن بريطانيا وأمريكا فهمتا هذا القرار بطريقتهما الخاطئة دائما فاعتقدتا ان العرب يسلمون كعادتهم ، وبدلا من أن تبحث كل من بريطانيا وأمريكا شروط هذا التعاون وتزيلا أسباب الخلاف بدأتا فى اظهار المؤامرة الى حيز الوجود ·

فما ان جاء شهر يناير سنة ١٩٥٥ وانقضت منه عشرة أيام حتى وقف نورى السعيد يعلن عن امضاء ما يسمى بحلف بغداد فى نهاية زيارة رئيس وزراء تركيا لبغداد فى ذلك الوقت ·

وهكذا أعلنت المؤامرة التى كانت تطبخ فى أمريكا ، وبريطانيا منذ وقت طويل ٠

## وبدأنا نستعيد الشريط

وهكذا اتضح أن حديث أمريكا معنا عن الصداقة منذ الايام الاولى للثورة لم يكن الا ستارا خداعا ، وان وعودها ببيع السلاح لنا لم تكن الا مطاولة لكسب الوقت حتى تتمكن من تنفيذ مشروعاتها فى المنطقة ووضعنا أمام الامر الواقع ، فاما أن نسلم واما أن نموت ٠

وبدأنا نستعيد الشريط من جديد ٠

أمن متبادل ٠٠

اتفاقية رأس المال ٠

وعود لا قيمة لها ولا حساب ٠

وهكذا انتهت المرحلة الثانية ٠٠ مرحلة التضليل بظهور حلف بغداد الاستعمارى المشئوم ٠

# الفصل الثامن

- المرحلة الثالثة : مرحلة ظهور النوايا
- المأساة التى شهدتها القاهرة
- مساومات على الشرف

## المرحلة الثالثة

## مرحلة ظهور النوايا

لقد ظنت أمريكا وبريطانيا با بنى أننا سنسلم أمام الامر الواقع ، حينما يظهر حلف بغداد الى الوجود ، كما حدث فى شهر يناير سنة ١٩٥٥ .. أو لعلهما اعتقدتا اننا لن نفطن الى أهداف هذا الحلف ، ولكننا على العكس من ذلك عارضناه ولا نزال نعارض هذا الحلف لأسباب كثيرة منها :

**أولا :** ان صانعى هذا الحلف هم الذين صنعوا اسرائيل وهم الانجليز والامريكان ... واسرائيل يقولون عنها انها وجدت لتبقى ، أى انها فى نظرهم دولة من دول الشرق الاوسط الذين يدعون ان هذا الحلف وجد لخدمة أغراض السلام فيه والدفاع عنه ، فقبول الدخول فى هذا الحلف معناه اعتراف كامل باسرائيل من ناحيتنا ، خاصة وان الذين صمموا هذا الحلف جعلوا العدو الوحيد الذى يشكل الخطر على المنطقة هو روسيا ... ومفهوم طبعا أن هذا الامر فضلا عن انه يخدم أهداف أمريكا ، فانه أيضا يخدم ـ فى الدرجة الاولى ـ اسرائيل، لأن أنظار العرب ستتحول عنها الى روسيا ـ العدو الوهمى ـ التى تقع على بعد آلاف الاميال من المنطقة .

**ثانيا :** ان الشعب المصرى يرفض كمبدأ الدخول فى الاحلاف أيا كانت ... ويصبح هذا الرفض عنادا واصرارا اذا ما طلب

اليه ان يدخل فى شركة مع بريطانيا التى عرفناها أربعا وسبعين سنة ودخلنا معها فى شركة بمقتضى معاهدة سنة ١٩٣٦ فكانت هذه المعاهدة حبرا على ورق ٠٠ لان التعاقد بين طرفين غير متكافئين معناه سيطرة الطرف الاقوى على الطرف الضعيف ، واملاء الأوامر عليه ، والتصرف فى مصيره ، وهو ما يسمى بالاستعمار ٠

**ثالثا** : اننا دولة صغيرة توشك أن تتخلص من السيطرة الاجنبية التى عطلت الشعب وتقدمه ٠٠ ونريد أن نبنى بلدنا لكى لا نظل متخلفين كما تصفنا بريطانيا وأمريكا ، ولا مصلحة لنا فى معاداة أحد فى هذا العالم ، ولا مصلحة لنا أيضا فى الانحياز الى كتلة دون أخرى من الكتل المتصارعة فى هذا العالم ٠

هذه بعض الاسباب التى جعلتنا نهب لمعارضة هذا الحلف شعبا وحكومة ، وهذه هى الأسباب نفسها التى جعلت الشعوب العربية كلها تعارض الحلف وتثور عليه ٠

## المأساة التى شهدتها القاهرة

ولقد وضحت نيات أصحاب هذا الحلف من أول يوم عندما أعلنوا صراحة تصميمهم على جر الدول العربية كلها الى عربته ، عندئذ أصبح واضحا ان الهدف الاساسى من هذا الحلف الذى بدأ الدعوة اليه نورى السعيد ـ عميل بريطانيا الاول ـ انما هو السيطرة الاستعمارية وليس الدفاع عن الخطر الوهمى ٠

فقد انطلق الدبلوماسيون البريطانيون والامريكان فى سفارتى بريطانيا وأمريكا من أكبر واحد الى أصغر واحد ، أقول انطلقوا يأبنى يؤكدون لنا فى مناسبة وغير مناسبة جهل حكومتى بريطانيا وأمريكا بأمر هذا الحلف الذى أعلنه نورى السعيد ، وكان الدبلوماسيون البريطانيون يقسمون بكل شىء فى حماس غريب لكى يثبتوا براءة

حكومتهم . ولكنا لم نلبث أن سمعنا ايدن ـ رئيس وزراء بريطانيا وقتذاك ـ يعلن فى مجلس العموم البريطانى ٠٠ وفى ثورة غضب ، أنه هو صاحب فكرة حلف بغداد ٠٠ وان الحلف قام لكى يجعل لبريطانيا مركزا ممتازا فى هذه المنطقة ٠

وهكذا أثبتت بريطانيا يا بنى قبل مضى ستة أشهر على امضاء اتفاقية الجلاء والصداقة معنا أن العقلية الاستعمارية البريطانية هى التى تضع الخطط . وان مفهوم الصداقة عند بريطانيا هو الخضوع لأوامرها والدخول فى أحلافها والتسليم لسيطرتها وتحكمها ، وان بريطانيا كعادتها كانت تمد احدى يديها لمصافحتنا فى الوقت الذى نحمل فيه فى اليد الاخرى خنجرا مصوبا الى ظهرنا ٠٠ لقد فعلت بريطانيا ذلك مع العرب سنة ١٩١٧ حينما كانت تفاوض الشريف حسين فى شأن استقلال العرب ووحدتهم فى الوقت نفسه الذى كانت تفاوض فيه اليهود لاقامة وطن قومى لاسرائيل ، والذى مهد له بوعد بلفور المشهور ٠

وستظل بريطانيا وأمريكا تفعلان ذلك مع كل شعب ضعيف ، فستعلم يا بنى من روايتى لك أن الأمر فى العلاقات الدولية لم يعد أمر خلق أو مبادىء ٠٠ وانما المسألة مسألة قوى وضعيف ، غنى وفقير ٠

## مساومات على الشرف

ستعلم يا بنى أن البشرية تجتاز محنة عصيبة فى زماننا هذا على يد حلفاء الغرب وأمريكا بالذات ٠ فاما أن يخضع الناس لهم بالحديد والنار ، واما أن يساوموا الناس على شرفهم وأوطانهم بالذهب والدولار ٠

وأعود الى حديثى يا بنى فأقول : بدأنا نعيد تقدير موقفنا من

انجلترا وأمريكا على ضوء هذا الحدث الجديد وظلت مقاومتنا تشتد وتعنف . الى أن وقع حدث آخر كان هو نقطة التحول التاريخية فى حياة مصر كدولة مستقلة كاملة السيادة ، بل ان أثر هذا الحدث كان عميقا ومدويا فى العالم كله بحيث أصبح من الأحداث التى سيسجلها التاريخ على أنها نهاية تاريخ ، وبداية تاريخ .

كان هذا الحدث هو عدوان اسرائيل على غزة فى ٢٨ من فبراير ١٩٥٥ .

ولقد وصف مجلس الامن هذا العدوان بأنه « عدوان وحشى ومدبر » ، وأعلنت حكومة اسرائيل بعد ذلك فى تحد وخيلاء أنها دبرت هذا العدوان ، وبرغم كل هذا لم تحرك أمريكا ساكنا ولم تحرك بريطانيا ساكنا .. ومرت المسألة برغم قرار مجلس الامن كما لو كان أمرا عاديا .

## ناقوس الخطر الذى دق

أما بالنسبة لمصر يابنى فان هذا العدوان كان بمثابة ناقوس الخطر المروع لاعتبارات عديدة .

منها أن توقيت وقوعه جاء فى ابان اشتداد معارضة مصر لحلف بغداد ، وحديث أمريكا عن الصلح مع اسرائيل ، وضرورة تصفية القضية بينها وبين العرب .

ومنها ارتباط حياة اسرائيل ووجودها بمساعدات أمريكا واحسانها ، ولا يمكن أبدا أو يعقل أن تأتى اسرائيل بما يغضب أمريكا أو يثيرها ، أما أمريكا فقد اكتفت بأن يصدر مجلس الأمن قراره واعتبرت أن الموضوع منته .

ومنها أيضا أن السلاح الذى تعتدى به اسرائيل أمريكى

وبريطانى تحصل عليه اسرائيل بمنتهى السهولة ويدفع ثمنه فى أمريكا من الهبات التى تغدق على اسرائيل بدون حســـاب وهى هبات معفاة من الضرائب بقانون أصدره ترومان راعى فيه مصلحة اسرائيـــل ، هذا فى الوقت الذى ظلت فيه أمريكا تضحك على ذقوننا ثلاث سنوات كاملة فلم تبع لنا قطعــة ســلاح واحدة بل وعــدت ، ثم راوغت ، ثم سكتت ، فى الوقت أيضــا الذى كانت بريطانيا قد تسلمت فيه ملايين الجنيهات من مصر ثمنا لصفقة من الأسلحة ولكنها لم تورد منها الا جزءا ضئيلا جدا ولم تبد سببا واحدا معقولا لتأخيرها عن توريد البـــاقى بعد أن قبضت الثمن كاملا .

ومنها أيضا محـــاولة اذلال مصر التى ظهـرت فى صحف بريطانيا ، وأمريكا ، وفرنسا ، تلك الصحف التى أخذت تشيد بقوة اسرائيل وتفوقهـــا على الدول العربية مجتمعة ، واسرائيــل مليون ونصف ، والعرب أربعون مليونا تبلغ مصر وحدها ثلاثة وعشرين مليونا .

اذن فعملية التحكم فى بيع السلاح لنا خطة موضوعة .

وحكاية التصريح الثلاثى المشهور الذى صدر فى سنة ١٩٥٠ ـ ولم نعترف به ـ هو أيضا جزء من تلك الخطة ، هدفه هو تزويد اسرائيل بالسلاح والقوة ، وحرمان العرب من هذا السلاح وتلك القوة .

وحديث الصلح مع اسرائيل الذى تبدؤه أمريكا دائما كلما فتحنا موضوع الأسلحة ، وعدوان اسرائيل الذى يمر مر الكرام .

وهكذا اتضح لنا بعد عملية حســـاب بسيطة ان أمريكا لن تبيعنا قطعة من الســـلاح الا اذا وقعنا الصلح مع اسرائيل التى

تتحدى مجلس الأمن ، وتعلن رسميا أنها دبرت العدوان الذى وصفه ذلك المجلس بأنه « وحشى » .

وان بريطانيا التى وقعت معنا — منذ شهور قليلة — اتفاقية الجلاء والصداقة سوف لا تورد لنا الأسلحة التى قبضت ثمنها بالكامل لأن بريطانيا هي شريكة أمريكا الأولى وحليفتها وصانعة اسرائيل معها ، وزعيمة حلف بغداد ، وصاحبة فكرته ، كما قال رئيس وزرائها فى مجلس العموم .

كانت لأمريكا وبريطانيا خطة اذن ، وأصبح لابد لنا نحن الآخرين من خطة مضادة بعد أن وضحت النوايا سافرة .

كانت خطة أمريكا وبريطانيا هى التحكم فينا عن طريق بيع السلاح واحتكاره ، وكانت خطتنا هى تحطيم هذا الاحتكار الى الأبد ، ونسف أسطورة التحكم والسيطرة عن طريق بيع السلاح من الموردين التقليديين كما كانوا يظنون .

ان المسألة أصبحت لنا مسألة حياة أو موت يابنى .

فاما أن نتسلم لأمريكا وبريطانيا ونعقد صلحا مع اسرائيل بشروطها ، وتنتهى فلسطين وينتهى معها مليون من اللاجئين ، واما أن نحرم من السلاح فتعتدى علينا اسرائيل ثم تغزونا آخر الأمر ، ويصبح اللاجئون أربعة وعشرين مليونا من النيل الى الفرات .

واما أن ندخل أحلاف أمريكا وبريطانيا ونعود مرة أخرى الى ذلك الطوق الاستعمارى البغيض فنتلقى الأوامر من جديد ، ونرسل بأبنائنا الى الحرب كما يريدون ، واما ن نحرم من السلاح والحماية فلا يكون أمامنا من سبيل الا أن نطلب الحماية .

وعيب الاستعمار يا بنى أنه يغتر دائما فى قوته وجبروته ولا يحس أو يعترف بارادة الشعوب ، فلقد ظلت أمريكا وبريطانيا

فى حلمهما اللذيذ الذى صور لهما أن مصر لابد راكعة على ركبتيها ان آجلا وان عاجلا ، وظنوا أيضا ويظنون الى يومنا هذا فى سنة ١٩٥٧ ـ وأغلب الظن أنهم سيظلون على ذلك الظن ـ ان الله لم يخلق على الارض سادة الا منهم أما باقى البشر فلابد أن يكونوا عبيدا لهم ، تماما كالعقيدة التى تؤمن بها عصابات اسرائيل من أنهم شعب الله المختار وان ما خلقه الله من دون اليهود ليس الا خدما لهم ، هم والارض والزرع ملك لهم .

وقررنا خطتنا فى مارس سنة ١٩٥٥ يا بنى ، وجعلنا لها غرضا محددا هو أنه لابد من الحصول على السلاح ، فقد كان السلاح هو آخر مظهر من مظاهر التحكم والسيطرة أرادت بريطانيا وامريكا ان تحتفظا به لاذلالنا واخضاعنا وقتما تريدان .

ثم سافر عمك جمال يا بنى فى مايو سنة ١٩٥٥ الى باندونج لتمثيل مصر فى ذلك المؤتمر التاريخى ، وهناك أعلن للعالم كله بحضور ممثلى الدول الآسيوية والافريقية سياسة مصر التى تقوم على الحياد الايجابى ، والاعتراف بحق تقرير المصير ،وستقرأ يابنى كثيرا عن هذا المؤتمر الذى أصبح رمزا للتحرر ومقاومة الاستعمار ، وكان المغزى العميق لهذا المؤتمر هو اجتماع ثلاثين دولة من آسيا وافريقيا لأول مرة فى التاريخ بعد أن تخلصت من نير السيطرة الأجنبية والاستعمار ، ولم يسمح للدول الكبرى المستعمرة بحضوره أو حتى بايفاد مراقبين اليه .

وبمجرد أن عاد عمك جمال يابنى من باندونج بدأ على الفور تنفيذ الخطة ، فاتصل بالغرب والشرق على السواء .

أما مع الغرب فقد طلب عمك جمال منهم يا بنى أن يفوا بعهودهم والا فسيشترى السلاح من غيرهم ، وأبان لهم أن الأمر لا يحتمل التسويف أو المماطلة لأن كرامة مصر القومية فى الميزان .

وأما مع الشرق فقد أرسل عمك جمال يستفسر منهم عمن يبيعنا مانريد من سلاح ٠

ولم يرد الغرب ٠

وجاء الرد من الشرق ، فقد أرسلت تشيكوسلوفاكيا تقول انها على استعداد لبيع السلاح ، وانها على استعداد أيضا لبدء المباحثات التجارية لاتمام مانريد من صفقات ٠

وظل الغرب ساكنا مرة أخرى ، فقد عرف بعد ذلك أن وزارة الخارجية الأمريكية لم تأخذ الأمر مأخذ الجد وانما اعتبرت أن كلام مصر هو من قبيل « التهويش » ، لذلك أهملت الموضوع كلية على أمل أن ينكشف التهويش وتعود مصر الى الحظيرة فتخضع وتركع ، ومرة أخرى استسلمت أمريكا وبريطانيا لحلمهما اللذيذ ولم تفيقا منه الا على حقيقة حازمة هى أن مصر قد عقدت فعلا مع تشيكوسلوفاكيا صفقة اشترت فيها بحر مالها ماتريد من سلاح وعتاد ٠

أما اسرائيل فقد كان لها حديث آخر خلال هذه الفترة :

ففى صيف هذه السنة نفسها أى سنة ١٩٥٥ خرج بن جوريون من عزلته وعاد الى المسرح السياسى وفاز فى الانتخابات وكانت شعاراته التى ملأ بها الشوارع هى « فرض الصلح على العرب بالقوة » ، وما ان تولى بن جوريون رياسة الحكومة حتى وقف فى البرلمان الاسرائيلى يتحدث عن سياسته واستعداده للالتقاء بالرئيس جمال عبد الناصر ، وعن نوايا اسرائيل السلمية وحديث الصلح ، وحسن الجوار ، وما أن مضت عشر ساعات على هذا الحديث حتى كان بن جوريون يصدر أوامره ، بوصفه وزيرا للدفاع ، الى قوات الجيش الاسرائيلى بمهاجمة الموقع المصرى « الصبحة » ٠

وأذكر ان مراسلا بريطانيا كان في اسرائيل فى ذلك الوقت ثم جاء الى القاهرة بعد أن ردت القوات المصرية الهجوم الاسرائيلي، وفى حديث خـــاص قال لى : انه اجتمع ببن جوريون وسأله عن سبب الهجوم على « الصبحة » فى الوقت الذى كان ينادى فيه بن جوريون بالاجتماع بالرئيس جمال ، فرد عليه بن جوريون قائلا ان كل المعلومات التى تجمعت لديه عقب القاء خطابه كانت تقول بأن الحالة السياسية فى مصر مهددة بالانفجار وأن الرئيس جمال على وشك السقوط ، وان الثورة المصرية على وشك التصفية ولكن الأمر يحتاج الى سبب يعجل بالانفجار .. ثم نظر اليه بن جوريون فى ثقة وهدوء وقال : انك ستسافر من هنا الى مصر ، فعجل لكى ترى بنفسك الأحداث وتسجلها .

وجاء المراسل البريطانى وسجل فعلا الاحداث .

سجل انتصـار مصر على آخر قيد من قيـود السيطرة ، اذ سمع بنفسه اعلان الرئيس جمال عن عقد صفقة الأسلحة ، وسمع وشاهد الشعور فى مصر وفى دنيا العرب وعالم الأحرار .

وبهذا تنتهى المرحلة الثـــالثة وهى التى عرفتها لك يابنى بمرحلة ظهور النوايا .

# الفصل التاسع

* المرحلة الرابعة : مرحلة المساومة
* الكلاب الضارية تنبح فى هستيريا صاخبة
* حكاية توازن القوى
* العداوة بين رجلين
* معالجة الأخطاء بالأخطاء !

## المرحلة الرابعة : مرحلة المساومة

بدأت هذه المرحلة يابنى عنيفة فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ ٠

فقد شنت الصحف الأمريكية ٠ والصحف البريطانية ، والصحف الفرنسية ، وكثير من صحافة أوربا بالتبعية ، حملة مركزة من الكراهية والتضليل ضد مصر ٠

أما أمريكا فقد اعتبرت عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكية ، هزيمة نكراء للسياسة الامريكية فى الشرق الأوسط ٠٠ وهزيمة أيضا لمشاريع أمريكا فى هذه المنطقة ، سواء من ناحية اسرائيل أو من ناحية الأحلاف ، وسياسة الحصار التى تريد أن تطوق بها روسيا ٠ .

وبدلا من أن يدرس المسئولون فى واشنطن أسباب هذه الهزيمة دراسة واقعية، لجأوا الى التشويش والتضليل٠٠ وصوروا صفقة الاسلحة على أنها ارتباط مصر بالكتلة الشرقية ضد أمريكا٠٠ والشعب الأمريكى حساس جدا من هذه الناحية بعد أن صوروا له الشيوعية على أنها الموت ٠

وبالتالى أصبحت مصر فى دعاية أمريكا الرسمية ، أداة من أدوات هذا الموت الذى يريد أن يطبق على عنق الشعب الأمريكى المضلل ٠ وطبيعى أن تتعاون الصهيونية العالمية مع المستر دالاس مصمم السياسة الأمريكية فى هذه الدعاية ٠

## الكلاب الضارية

## تنبح فى هستيريا صاخبة

والصهيونية العالمية تسيطر فى أمريكا على الصحافة ، والاذاعة ، والمال ، والسينما ، وكل ماله تأثير على الناس ٠

وبذلك تم تطويق الشعب الأمريكي بطوق حديدى من الدعايات التى طمست الحقائق طمسا كاملا ، وانطلقت الصحف الأمريكية كالكلاب الضارية تنبح فى هستيريا صاخبة ، وتصور مصر كل يوم بصورة أبشع من صورة اليوم الذى سبقه ٠

فالسلاح الذى اشترته مصر بمالها على أسس شريفة للدفاع عن حدودها وكرامتها ، أصبح فى نظر صحافة أمريكا عدوانا آثما من مصر ٠٠ وأصبحت مصر فى نظر هذه الصحافة قاعدة تعد للهجوم ٠٠ وأغفلت الصحف الأمريكية ، حسب الخطة الموضوعة ، حكاية السنوات الثلاث التى أنفقتها مصر فى التفاوض مع أمريكا لشراء السلاح ٠٠ وأغفلت هذه الصحافة أيضا ــ عن عمد ــ مساومة الحكومة الامريكية لنا من أجل بيع السلاح ، ووعود أمريكا التى نقضتها المرة تلو المرة ٠

### الاعتداءات الثلاثة

وأغفلت أيضا هذه الصحافة عدوان اسرائيل المستمر على حدودنا وحدود العرب ٠٠ برغم أنه فى نفس هذه السنة ، وهى سنة ١٩٥٥ ، وقعت ثلاثة اعتداءات مشهورة على حدودنا :

كان أولها فى ٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٥ على غزة وهو نقطة التحول كما شرحت لك يابنى ٠

أما الاعتداءان الكبيران الآخران ، فهما اعتداء وقع على نقطة الكونتلا المصرية ·· والآخر هو الاعتـــداء الذى وقـع على موقع الصبحة المصرى بعد أن تحدث بن جوريون عن السلام فى برلمان اسرائيل بعشر ساعات فقط ·· هذا بخلاف الاعتداءات الأخرى التى كانت مستمرة على حدودنا وحدود سوريا وحدود الاردن ·

لم تذكر الصحف الامريكية حرفا واحدا عن جملة بن جوريون فى صيف سنة ١٩٥٥ والتى كانت تقوم علنا على شعارات كان أهمها «فرض الصلح على العرب بالقوة» ·· ولن تستطيع الحكومة الأمريكية أن تنكر أن الرئيس جمال عبد الناصر استدعى السفير الأمريكى فى ذلك الوقت ، ولفت نظر الحكومة الأمريكية الى مافى هذا الأمر من نوايا عدوانية ·

وانما أخذت الصحف الأمريكية تهاجم مصر ، وتكيل المديح لاسرائيل المسالمة المسكينة ·

بل أخـذت تطالب الحكومة الامريكيـة بضرورة التدخل لمنع وصول الأسلحة الى مصر خوفا على « العزيزة » اسرائيل ·

ثم راحت بعد ذلك تطالب بعقد اتفاق بين أمريكا واسرائيل من الغول الذى سـيفتك بهـا وهو مصر ·· والعجيب أن هذه الصحف كانت الى ماقبل عقد صفقة الأسلحة تفاخر بقوة اسرائيل، وانها تستطيع أن تهزم الجيوش العربية ، مجتمعة ، وعلى رأسها الجيش المصرى ·

## حكاية توازن القوى

كان هذا هو مسلك صـــحافة أمريكا ·· ولم يكن مسلك الحكومة الأمريكية بأقل حماقة من مسلك صحافتها ، لأن الأمر

كله كما قلت لك يابنى كان يسير حسب خطة مدبرة ٠٠ فانطلقت التصريحات الرسمية تتهم مصر وتهاجم مصر فى كل اتجاه ، تحت ستار ماسموه بتوازن القوى فى الشرق الأوسط والتصريح الثلاثى الصادر فى سنة ١٩٥٠ ٠

ولقد كان هدف الحكومة الأمريكية وصحافتها من الهجوم على مصر ، هو اثارة بلبلة وقلقلة وشن حرب أعصاب على مصر ، يكون من نتائجها أن تعدل مصر عن صفقة الأسلحة هذه ، وتعود فترتمى فى أحضان أمريكا ، أو ينقلب الوضع فى مصر ، وتحدث ثورة يكون قادتها هم عملاء امريكا وحلفاءها .

أى أن أمريكا لم تفكر فى أخطائها هى ، بل لجأت الى الهجوم على مصر لتصلح أخطاءها التى ارتكبتها فى حق مصر فى السنوات الثلاث التى ماطلت وسوفت فيها ، حتى انكشف أمرها ٠

**سياسة اصلاح الخطأ**

وتستطيع يا بنى أن تلخص سياسة أمريكا فى ذلك الوقت ، وفى هذا اليوم الذى أكتب لك فيه هذه الكلمات فى سنة ١٩٥٧ بأنها سياسة اصلاح الأخطاء بارتكاب أخطاء جديدة ٠

وفى يقينى يا بنى أن هذه السياسة مبعثها غرور متأصل فى نفس أولئك الذين يرسمون سياسة أمريكا وعلى رأسهم دالاس وزير خارجيتها ٠٠ فهم يعتقدون أن لا شىء يقف أمام أمريكا ، باعتبارها ، أقوى وأغنى دولة فى العالم ، بعد الحربين العالميتين اللتين وقعتا فى النصف الأول من القرن العشرين ، وهم يؤمنون أن ما لا يدرك بالقوة ، يدرك بالرشوة والدولار والعكس بالعكس ٠٠٠ وهذا منطق سياسة أمريكا اليوم ٠٠ وأمس ٠٠٠ وغدا ٠٠٠ الا اذا أراد الله أمرا ٠

ان قاموس السياسة الأمريكية على عكس ماكان يتوقع الناس بعد الحرب العالمية الثانية ، أقول لا يعـــرف قاموس السياسة الأمريكية الخلق أو المبادىء وانما تستبيح ـ هذه السياسة ـ كل شيء في سبيل الوصول الى مصلحة أمريكا ولا قيمة للخلق ولا للمبادىء ولا لارادة الشعوب اذا ماتعارضت مع مصالح أمريكا .

## رفضنا لمجرد الشبهة

فأمريكا تعلم تمام العلم أننا لسنا شيوعيين ، واننا نرفض السيطرة الأجنبية أيا كانت ، وقد رفضنا لأمريكا اتفاقيتي الأمن **المتبادل ، ورأس المال ، لأننا لا نريد أن نستبدل نفـوذ بريطانيـا** بنفوذ أمريكي وقلنا ذلك صراحة لأمريكا .

وأمريكا تعلم أننا رفضــــنا الاغراء والآمال العراض عندما وجدنا شبهة التدخل ، أو شبهة السيطرة الأجنبية ، ولو في أقل صورة ، فلماذا تلجأ أمريكا الى اتهامنا بكل هذه الأمور وهي تعلم أن لها معنا تجربة رفضنا منها كل هذه الأمور ؟

ان المسألة واضحة ، فبدلا من أن تعالج أمريكا أخطاءها التي ارتكبتها في حق مصر قبل عقد صــفقة الأسلحة ، اعتقدت انهــا ستصلح أخطاءها أو تخفيها على الأقل بهذا الهجوم .

## قصة الاتهامات

من أجل هذا بدأت حكاية اتهام مصر بالشيوعية تارة وتارة أخرى بأنها أصبحت قاعدة للتسرب الشيوعي ، ومرة ثالثة بأنها دخلت في نطاق الشيوعية الدولية .

وبدأت الأخطاء تتراكم وتصبح أخطاء مركبة !

## البترول

اما بريطانيـــا فقد اعتبرت عقـــد صفقة الأسلحة المصرية التشيكية — هى الأخرى — هزيمة نكراء للسياسة البريطانية فى الشرق الأوسط ، وهزيمة أيضا لمشاريع بريطانيا • وبريطانيا أشد حساسية فى هذا الأمر من أمريكا باعتبـار أنهـا كانت تعتبر منطقة الشرق الاوسط منطقة نفوذ بريطانية لبريطانيا فيها مصالح حيوية أهمها البترول ، هذا بخـلاف اسرائيل وبخـلاف عامل آخر أشد وطأة من كل ماسبق ، وهو احتضار الامبراطورية •

ويهمنى أن أصور لك يا بنى بعض ما كان يختفى وراء هجوم الصحف البريطانية المسعور على مصر بعـــد عقد صفقة الأسلحة التشيكية ، فالصحافة البريطانية تشترك مع الصحافة الأمريكية فى كل ماشرحته لك عن اسرائيل وســيطرة الصهيونية العالمية عليها هى الأخرى بطرق شـــتى ، ولقد كان موقف الصـــحافة البريطانية هو نفس موقف الصحافة الأمريكيـــة فى كل ما يختص باسرائيل ، حتى ان جريدة « التيمس » التى يطلقون عليها كلمة « الوقورة » لم تتورع عن أن تخرج باحصـــائية قبل عقد صفقة الأسلحة تنتهى فيها فى زهو وفخر الى أن جيش اسرائيل يستطيع أن يلحق الهزيمة النكراء بجيوش العرب جميعا ، ثم مالبثت هذه اللهجة أن تغيرت بعد عقد صفقة الأسلحة الى البكاء على اسرائيل المسكينة المسالمة ، والى حث الحكومة البريطانية على التدخل لحماية اسرائيل ضد مصر •

الا أن وراء حملة الصحف أمورا أخرى كما قلت لك يابنى

## العداوة بين رجلين

وحملة الصحافة البريطانية كانت موجودة فعلا قبل عقد صفقة الاسلحة بزمان طويل فى تلك الصحف ، واليك بعض الأسباب .

أولا ـ رئيس وزراء بريطانيا

ولا تعجب يا بنى أن يكون رئيس وزراء بريطانيا بشخصه وهو المستر ايدن سببا أساسيا فى حملة التضليل التى عزلت الحقائق عن الشعب البريطانى عن عمد ، وشوهتها فى أماكن كثيرة من العالم ، ولم تتضح الا بعد أن سقط هذا الرجل وانهارت أعصابه .

لقد كان المستر ايدن يعتبر عمك جمال يابنى عدوا شخصيا له ، لمجرد أن عمك جمال حاكم وطنى لا يساوم ولا يخضع لاغراء أو لتهديد .

فقد صادف أن كان ايدن هو رئيس الوزارة البريطانية يوم أن وقعت مصر مع بريطانيا اتفاقية الجلاء التى نسفها العدوان بعد ذلك ، ولكن مجرد توقيع هذه الاتفاقية وقتذاك من غير أن تحتفظ فيها بريطانيا لنفسها بحق السيادة على مصر ولو فى بنود سرية ، اثار الاستعماريين فى بريطانيا مما جعلهم يعتبرونها نصرا لعمك جمال على ايدن الذى لم يفلح فى جعل عمك جمال أداة من أدوات بريطانيا . ولقد استجاب ايدن لمثل هذه العقليات المتعفنة وبدأ يحقد على عمك جمال .

## تصورات حلف بغداد

وصادف أيضا أن المستر ايدن هذا قد تصور أنه يستطيع

أن يبسط حماية بريطانيا على العرب بجرة قلم ، وانه يســـتطيع أن يضع مصر أمام الامر الواقع فتخضع بعد الجلاء لما هو شر من الحماية والاحتلال وهو الاحلاف ، فأمر عميلـــه الاول فى الشرق الاوسط السيد نورى السعيد بانشاء حلف بغداد وادخال العرب فيه جميعا ، ورتبوا الخطة ، وخرج الحلف الى الوجود ثم بادر بضم بريطانيا اليه ، ولكن مصر هاجمت هذا الحلف كمبدأ أولا ، وثانيا لما فيه من سيطرة يراد بسطها على العرب ، وثالثا لان من أهم أهدافه المطوية تصفية فلسطين العربية الى الابد لصالح اسرائيل ٠

وكانت النتيجة أن الحلف ولد ميتا ، حتى ان رئيس اركان حـرب الامبراطورية البريطانية حاول أن يغرى الاردن أو يهـدده للانضمام الى هذا الحلف فى الوقت الذى كان يخضع فيه لسـيطرة بريطانيا ويحصل على معونة من بريطانيا ولكن الشعب الاردني ثار ورفض الانضمام الى الحلف بل وأكثر من ذلك طرد الجنرال جلوب الانجليزى الذى كان يحكم الاردن باسم بريطانيا منذ أن أنشئت ٠٠ واعتبر ايدن ان هذا الامر من تدبير عمك جمال يا بنى فحفظ عليه أكثر وأكثر ٠

## قصة الكراهية والحقد

الى أن كانت صفقة الاسلحة سنة ١٩٥٥ فكانت هذه هى قصة الكراهية والحقد فى نفس ايدن رئيس وزراء بريطانيـا العظمى ، من أجل ذلك انطلقت الصحف البريطانية في الهجـــوم على مصر بتشجيع ورضا رئيس وزراء بريطانيا الذى كان يغـذيها بالسـموم والاكاذيب ٠

ثانيا ــ ظهور مصر كقوة فى المنطقة

فقد كانت بريطانيا الى ما قبل عقد صفقة الاسلحة هى المحتكر

الوحيد لبيع السلاح للمنطقة ، وكان هذا يعنى انها تستطيع أن تمنح القوة وتمنعها حسبما تشاء ووقتما تريد ، ويعنى أيضا ان أية قوة فى هذه المنطقة لن توجد الا بارادة بريطانيا ، فلما حطم عمك جمال يا بنى هذا الاحتكار وهذه السيطرة الأجنبية طاش صواب الحكومة البريطانية فى لندن خاصة وان الشعوب العربية باركت هذا الاتجاه واندفعت تؤيده فى حماس رائع يعبر عن عواطفها المكبوتة طوال سنين من القهر والاستعمار ، تأتى بعد ذلك أسباب كبيرة أهمها :

**ستار وراء أمريكا**

مصالح بريطانيا وهى تتمثل أساسا فى البترول

تأثر موقف عملاء بريطانيا بعد أن انكشفوا أمام الشعوب وبالتالى تأثر موقف بريطانيا تجاه هذه الشعوب وهى التى لاتريد الا الاستعمار وامتصاص الارزاق بغير تقدير لارادة الشعوب · الخ ·· الخ

واستترت الحكومة البريطانية أيضا كما استترت الحكومة الامريكية خلف قناع التصريح الثلاثى الذى صدر فى سنة ١٩٥٠ وحكاية توازن القوى فى الشرق الاوسط ·

**السبب ثوار الجزائر**

أما فرنسا فهى تشترك يا بنى مع أمريكا ومع بريطانيا فى كل هذه الاسباب مضافا اليها سبب أساسى هو مشكلة الجزائر

فقد كانت فرنسا موتورة هى الاخرى من مصر بسبب التأييد الذى تقدمه مصر لثوار الجزائر العرب الذين يحاربون فى معركة الاستقلال والحرية ، وكان قائلهم يقول ان معركة الجزائر تحسم

فى مصر وليس فى الجزائر ، وفرنسا كانت تجاهد عبثا لـــكى تحتفظ لنفسها بمقعد بين الدول الكبرى وتعيش على أحلام الماضى بعد أن أصبح الواقع مرا وعلقما ، فقد فقدت كل شيء حتى الشرف ولم يبق لهـا الا الجزائر التى هى باب الصحـراء وباب افريقيـا الوسطى ، وهى تظن ان قهر الشعوب هو الوسيلة المثـلى للعيش فى الحياة كدولة من الدرجة الاولى ٠٠ يضاف الى ذلك ما للصهيونية العالمية فى فرنسا من سيطرة تامة تكاد تفوق سيطرتها فى أمريكا وهى مضرب الامثال ويضاف الى ذلك أيضا ان فرنســـا هى ثالث الفرسان الذين وقعوا ما يسمى بالتصريح الثلاثى وأكذوبة توازن القوى ٠

**معالجة الاخطاء بالاخطاء**

وهكذا بدأت المرحلة الرابعة يابنى بعد عقد صفقة الاسلحة فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ بداية عنيفة ٠٠ ولكن الفرســـــان الثلاثة أخطأوا التقدير كما هو حالهم فى الحاضر والمســـتقبل يا بنى ، فبدلا من أن يثيروا حربا باردة على مصر بحملاتهم وهجماتهم فى الصحف وفى الاذاعة وعلى لسان الرسميين أثاروا حربا باردة ولكن على شعوبهم وعلى أفكارهم ، أما مصر فقد وقفت صفا واحدا خلف عمك جمال وأخذت تكشف للعرب وللعالم خداع هؤلاء المستعمرين وفى الوقت ذاته لم تضيع مصر لحظة واحدة فى القلق أو البلبلة كما كانوا يريدون بل أخذت تتجه بقيادة عمك جمال نحو البناء والانشاء

**آمال مصر**

وكان أهم مشروع تبنى عليه مصر آمالها هو مشروع السـد العالى الذى يكفل مستقبلا كريما ومستوى لائقا من المعيشة لجماهير

الشعب بعد أن أهملت الحكومات المتعاقبة فى أيام ما قبل الثورة كل تفكير فى أمر مستقبل هذا الشعب وما يولد فيه من أجيــال حتى وصلنا الى حالة خطيرة من هبوط مستوى المعيشة ٠

ولن أحدثك يابنى عن هذا المشروع فستراه باذن الله حين تستطيع أن تقرأ هذه الكلمات . وستقرأ عنه الكثير فى المدرسة ولكننى أريد أن أحكى لك حكايته من زاوية أخرى تتعلق بهـذا الحديث الذى كتبته لك ٠

فانه بعد أن عقدت مصر صفقة الاسلحة وحطمت التحكم الذى كان مصدره بيع السـلاح ، تلفتت أمريكا لتبحث عن طريق آخر تستطيع بواسطته أن تفرض سيطرتها علينــا عن طريق المال والدولار ٠

وكان هو مشروع السد العالى ٠٠٠

**اللطمة المذهلة**

بدا واضحا اذن يا بنى ان عقد صفقة الاســلحة المصرية التشيكية قد أصاب بريطانيا وأمريكا بلطمة مذهلة ٠٠ فقد فقدت الدولتان آخر كارت من كروت المساومة وفرض السيطرة ٠

ولقد ظل هجوم الصحافة الامريكية يشتد ويعنف بينما كان هجوم الصحافة البريطانية يتسم بالحذر والمرونة الى ما بعد عقد صفقة الاسلحة بشهرين فانقلبت الآية ، اذ بدأ هجوم الصحافة الامريكية يخف بينما أخذ هجوم الصحافة البريطــانية يعلو ويشتد ٠

وكانت هناك قضية لاتزال معلقة بيننا وبين أمريكا وبريطانيا هى قضية تمويل السد العالى ٠

## حياة أو موت

وكنا قد طلبنا من البنك الدولى أن يقرضنا حسبما يقضى قانونه لكى نستطيع أن نبنى ذلك السد الذى يعتبر مسألة حياة أو موت بالنسبة لمستقبل الشعب المصرى ، وبعد مفاوضات طويلة ودراسة مستفيضة من جانب البنك للمشروع ، وضع ذلك البنك شروطه لاقراضنا بعد أنْ رفض أول الامر وكانت هذه الشروط تتضمن شرطين جوهريين اساسيين ٠

أما الأول : فهو أن تشترك أمريكا مع البنك بنصف القرض

والثانى : وهو الاهم ، فهو سلسلة من القيود والالتزامات تجعل من مدير البنك الدولى وزيرا لمالية مصر ومهيمنا على اقتصاد مصر

## الحلقة المفرغة

أما دور بريطانيا فى هذه القضية فلم يكن الا رمزيا فقط ، اذ كانت ستشترك فقط بما قيمته حوالى الخمسة ملايين جنيه ٠

وهكذا عدنا يا بنى الى الحلقة المفرغة مرة أخرى فى قضية تمويل السد العالى بعد أنّ حطمناها فى قضية شراء السلاح أو بمعنى آخر طردنا النفوذ الأمريكى والنفوذ البريطانى اللذين كانا يريدان السيطرة علينا بالتحكم فى بيع السلاح من الباب ، فوجدناهما يطلان لنا من الشباك فى شروط البنك الدولى لاقراضنا من أجل بناء السد العالى ٠

والبنك الدولى لم يكن الا « سيم » فى كل هذه المناورات ، فبرغم أنه بنك دولى وأننا أعضاء فيه لنا من الحقوق ما لبريطانيا وما لامريكا، الا أن أمريكا هى المساهم الاكبر فيه ، ومديره أمريكى: ولا بد أن يخضع فى أقل القليل لتوجيه أكبر المساهمين ٠

## آمال وورود ورياحين

فيوم أن كانت السياسة الامريكية فى مصر تجتاز مرحلة الآمال والورود والرياحين ، كان البنك الدولى يقبل علينا فى لهفة لانجاز ذلك المشروع الحيوى العظيم ، ويوم أن كانت السياسة الامريكية تلجأ الى المساومة المقنعة من أجل السيطرة علينا كان البنك الدولى يعرض عنا محتجا بمختلف العقبات التى تظهر له فجأة فتحيل اللهفة اعراضا ، والآمال سرابا ٠

والعجيب ان أمريكا ، أو المستر دالاس على الاصح ، يعتقد ان هذه المناورات تنطلى على الناس ، واننا سوف نفزع اليه آخر الامر لكى ينقذنا من الورطة فيبدأ فى املاء الشروط

ولكن على العكس من ذلك ، فقد رفضنا شرط البنك الدولى الخاص بالقيود والالتزامات ، أما عن اشتراك أمريكا فى القرض فقد قلنا ان هذا يرجع الى أمريكا نفسها على شرط أن لا تكون هناك قيود أو التزامات جديدة من أمريكا بعد أن رفضناها من البنك الدولى ٠

## وقعنا فى المصيدة

وهنا اعتقد المستر دالاس مصمم سياسة أمريكا يا بنى اننا وقعنا فى المصيدة ، ووضع خطته على أن يعوض فى قضية تمويل السد العالى كل ما خيل اليه انه فقده فى يوم أن لطم على خديه لطمة صفقة الاسلحة المصرية التشيكية ٠

والمستر دالاس يا بنى كما وصفه صديق له فى كتاب نشر على الملأ ، المستر دالاس هذا مقامر ومغامر ، ولعل هذا يعود الى انه ورث هذه الصفات من نشأته فى ولاية تكساس بلد رعاة البقر الذين يعيشون على القمار والمغامرة ٠

فالمستر دالاس يعلم ان روسيا قد عرضت علينـــا رسميا معونة غير مشروطة لبناء السد العالى ، وهو يعلم أيضـا ان روسيا قد ساعدتنا فى ابرام صفقة الأسلحة التى أصابت سياسته بضربة فى الصميم ، لذلك دبر خطته على أن يختار اللحظة المناسبة فيضرب ضربة ينتقم فيها من مصر ويكشف موقفها ، وفى الوقت نفسه يرد الاهانة الى روسيا بأشد مما أحس به من مهانة وفشل •

ولكى يجعل من ضربته حدثا عالميا ومفاجأة حاسمة فى تاريخ البشرية بدأ المستر دالاس يلعب دوره على طريقة « الشجيع » فى روايات رعاة البقر حينما يكون واثقا من نفسه ومفتونا بقوته •

فبدلا من أن يبدو منفعلا أو متوتر الاعصاب ، بدأ يبتســم من جديد ، وبدأت الصحف الامريكية ـ كمـــا قلت لك يابنى من قبل ـ تخفف من هجومها بالتدريج ، وما أن بدأت سنة ١٩٥٦ أى بعد عقد صفقة الاسلحة ببضـــعة شـــهور حتى كان دالاس قد أقنع الناس بأنه قد شفى تماما من مضاعفات تلك الصـــفقة ، بل أكثر من ذلك ، فقد أعلن فى مؤتمر صحفى ان الاســـلحة التى اشترتها مصر انما هى أسلحة قديمة وان الامر لايســـتحق كل ما حدث من تهويل •

وعجبنا نحن هنا فى مصر يابنى ، فصدور مثل هذا الكلام عن مستر دالاس وهو الذى كان فى حالة هستيريا يوم أن عرف نبأ صفقة الاسلحة ، بل استمر على حالته لاسابيع بعد ذلك ، اقول كان صدور مثل هذا الكلام عن دالاس بعد سلوكه هذا مثار عجب ودهشة منا •

وتوالى العجب وتوالت الدهشة •

فلم يلبث المستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى أن جاء الى

مصر لكى يؤكد عزم البنك الدولى من جديد على تمويل السد العالى ، بعد أن وعدت أمريكا ، أو المستر دالاس على الاصح ، باعطاء مصر نصف القرض على شكل معونة أمريكية لمصر .

### الرئيس المنتخب

وجاءت احتفالات الجلاء بعد ذلك فى يونيو سنة ١٩٥٦ ، وسعدت مصر بأشهر أيامها يوم أن خرج من الوادى الحبيب آخر جندى بريطانى بعد أربعة وسبعين عاما طوالا من الكفاح ، وبعد خمسة أيام من هذا اليوم هرعت مصر من أقصاها الى أقصاها الى صناديق الانتخاب لكى تنصب جمال عبد الناصر رئيسا منتخبا لجمهورية مصر .

وجاء شهر يوليو من السنة نفسها ؛ والبلاد فى فرح شامل بالجلاء وبالرجل الذى حقق هذا الجلاء .

### لا اله الا دالاس

وهنا أحس دالاس فى الطرف الآخر من العالم أن الوقت قد حان لكى يضرب ضربته ..

لقد أراد المغامر المقامر أن يثبت للعالم أنه يستطيع أن يقلب أفراح الشعب المصرى المنتصر الى يأس وقنوط ، ويستطيع ايضا أن ينتزع منه الرجل الذى قاده الى النصر تلو النصر

اعتقد المقامر انه سيطيح بجمال عبد الناصر، وفى الوقت نفسه سيكشف للعالم ان روسيا غير جادة فى عرضها لتمويل السد العالى، وأن لا اله الا دالاس صاحب العبقرية الفذة والدولارات ، وملك القمار والمغامرة .

واتصل دالاس بالرئيس ايزنهـــاور وهو يلعب الجولف في مزرعته وقال له : انه سيسحب معونة السد العالى

ورد الرئيس ايزنهــاور فى غفلة أن امض فى طريقك ووضع السماعة لكي يعود بسرعة الى الاستمتاع برياضته

وفى الوقت نفســه كانت حكومة مصر قد زودت ســفيرها فى واشنطن باعلان قبول مصر رسميا لمعونة أمريكا والبنك الدولى

وبدلا من أن يطلب سفير مصر مقـــابلة دالاس ليعلنه بقرار مصر ، استدعى دالاس ســـفير مصر وأعلنه بقرار أمريكا أو على الاصح بقرار المستر دالاس وهو سحب المعونة ٠

وجلس المستر دالاس يفرك يديه فى نشوة هـــذا الظفر بعد أن أذاع بيانه الذى تضمن تحديا واستفزازا لمصر ٠

وكان هذا يوم ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦

وكان هذا اليوم انتهاء تاريخ ، وبدء تاريخ جديد

**البيان الطائش**

وأصبحنا يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ ونحن فى دهشة وحنق شديدين ٠

فقد كان يستطيع المستر دالاس أن يسحب العرض الامريكى لمعونة السد العالى فى أية لحظة يشاء ، ولم يكن لنـــــا أن نعترض أو نثور لسبب بسيط هو أن المســـــتر دالاس حر فى تكييف أموره وسياسته ، ولكن الذى أثار حنقنا كان ذلك البيان الطائش المريب الذى خرج به المستر دالاس على العالم ليعلن أن سحبه لمعونة السد العالى انما هو مبنى على أساس أن مصر بلد مفلس وأن الحكومة الامريكية لا تحمل للشعب الا كل مودة وتقدير ٠

وقد صيغت عبارات هذا البيان بحيث تعلن فى وقاحة غريبة أن على الشعب المصرى أن يتخلص من جمال عبد الناصر ، وعندئذ ستفتح أمريكا خزائنها لكى تبنى السد العالى ، ولكى تقيم عشرات المشاريع الاخرى لمصر ٠

واعتقد دالاس ـ يا بنى ـ أنه قد ضرب بهذا البيان أكبر ضربة سياسية فى العصر الحديث ، ستنتهى بسقوط عمك جمال وتصفية الثورة ، والاتجاه التحررى فى مصر وفى جميع أنحـاء الأمة العربية ، وستنتهى كذلك بتوجيه لطمة قوية لروسـيا التى تجرأت ـ فى نظره ـ فباعت لنا السلاح من غير قيد ولا شرط ٠

وجلس « العبقرى » دالاس فى واشنطن ينتظر فى زهو وخيلاء تحقيق النتائج التى أرادها بهذه الضربة ٠

وفى مصر جلس عمك جمـال ـ يا بنى ـ يدرس فى هدوء عميق ، فلقد كان تحدى وزير الخارجية الامريكية قد بلغ أقصى حد بهذا التهجم على مصر ، وعلى عمك جمال بحيث أصبح من المحتم أن يكون الرد على هذا التحدى ردا قويا مذهلا حتى يفيـق دالاس وحلفاؤه من غرورهم وكبريائهم وصغارهم ٠

والعجيب أن البنك الدولى أرسل خطابا الى وزير ماليـة مصر قبل أن يرتكب دالاس حماقته بعشرة أيام فقط أى فى شهر يوليو سنة ١٩٥٦ يشيد فيه بسلامة مشروع السد العالى وبسلامة اقتصاد مصر ، وبعزم البنك الدولى على المضى فى اقراضنا لتنفيذ ذلك المشروع ، ولكن البنك الدولى برغم اعترافه فى هذا المستند الرسمى يوم ١١ يوليو سنة ١٩٥٦ بادر فأعلن يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ سحب معونته مستندا الى نفس الاسباب التى أعلنها وزير الخارجية الامريكية ٠

وبريطانيا أيضا ، وكانت ستشترك كما قلت لك يا بنى بمبلغ رمزى هو خمسة ملايين من الجنيهات ، بادرت هى الاخرى فاعلنت على لسان وزير خارجيتها سحب هذه المعونة أيضـــا يوم ٢٠ يوليو مستندة الى نفس أسباب المستر دالاس ، وزاد وزير خارجية بريطانيا على ذلك أن أخذ يتحدث أمام مجلس العموم فى غرور وخيلاء عن قيمة صداقة الغرب لمصر بما يفضح تشفيه وحقده وهو الذى حبسه الاحرار فى جزيرة البحرين كما يحبس الفأر فى المصيدة .

وهكذا أصبح واضحا ان الامر هو مؤامرة من نســـج دول الغرب الكبرى ، مؤامرة رسمت فى واشـــنطون ، واســتجابت لها لندن وسعدت بها باريس .

وكان على عمك جمال أن يرد كما قلت لك يا بنى ردا قويا مذهلا .

# الفصل العاشر

* المرحلة الخامسة : مرحلة المؤامرة
* عمك جمال يرد رده المذهل
* ثورة الثلاثة الكبار
* فشل المتآمرين

## المرحلة الخامسة
## مرحلة المؤامرة

كان على عمك جمال أن يرد كما قلت لك يا بنى •

كان عليه أن يرد هذا التحدى بتحد أشد ، وأوجع فأهداف المؤامرة واضحة كل الوضوح ، بل ان المستر دالاس صرح فى غرور أمام لجنة الشئون الخارجية للكونجرس الامريكى فى جلسة سرية قائلا : انه فى اللحظة التى يتخلص فيها الشعب المصرى من جمال عبد الناصر ، فان أمريكا ستتقدم فى الحال لتقديم المعونة الى الشعب المصرى •

ولم يكن اسقاط عمك جمال هو الهدف الأوحد لضربة دالاس، بل ان الأهداف الأخرى لهذه الضربة كانت أعمق وأبشع •

فأمريكا تريد أن تطيح بالثورة المصرية التى احتضنت التحرر والاستقلال ، ورفضت فى عزم واصرار كل أشكال السيطرة الأجنبية وتحكم الدول الكبرى •

وأمريكا أيضا تريد أن تطيح بالثورة المصرية العربية التى احتضنت القومية العربية وتجاوب معها العرب فى حماس وعزم فى كل أقطارهم وبكل قلوبهم وأرواحهم •

وأمريكا غاضبة على مصر لأنها قاومت حلف بغداد •

وأمريكا غاضبة على مصر لأنها ترفض المساومة على حقوق فلسطين العربية وحقوق أهلها المشردين اللاجئين ٠

وأمريكا غاضبة على مصر لأنها اختطت لنفسها سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ٠

وأمريكا غاضبة على مصر لأنهـــا حطمت الطوق الحديدى واشترت السلاح ـ لتدعم جيشها ـ من الكتلة الشرقية ٠

وأمريكا لا تريد للعرب أن يستيقظوا أو أن يتضامنوا خشية أن يلحق مصالحها الضرر كما تصوره لها خيالاتها الاستعمارية البغيضة ٠

وأمريكا تريد أن تفرض اسرائيل على العرب فرضا شاءوا أو لم يشاءوا ٠

وانجلترا تريد أيضا هى الأخرى أن تطيح بالثورة المصرية لنفس الأسباب التى ذكرتها سابقا بالنسبة لأمريكا ، فأمريكا هى زعيمة المعسكر الغربى وهى التى تمد هذا المعسكر بالغذاء والكساء ولكن بريطانيا كانت أشد حنقا على مصر من أمريكا بعد أن أجبرت على الجلاء عن أرض مصر ، وبعـد أن تولى زمام الأمور فيها رجل مريض منهار هو المستر ايدن ٠

وكانت فرنسا هى الأخرى أشد حرصا من أمريكا وبريطانيا على القضـــاء على الثورة المصرية فقد كانت تحلم فى يقظتها أن مستقبل الجزائر يقرر فى القاهرة وأن الثورة الجزائرية التى كان قد مضى عليها حوالى السنتين وقتذاك ممكن أن تنتهى فى لحظة اذا ما قضى على الثورة فى القاهرة

وكما قلت لك يا بنى فان عمك جمال لا يقدم على خطوة الا

اذا درسها دراسة مستفيضة وقدر الموقف فيها تقديرا واعيا شاملا دقيقا

وحين جلس عمك جمال يا بنى لكى يضع تقدير الموقف الذى سيخرج منه بخطة الرد على تحدى المتآمرين الكبار كان هادئا كعادته حينما يواجه أية مشكلة برغم أن المؤامرة تستهدف القضاء على حياة شعبنا لأجيال طويلة مقبلة وبرغم أن القائمين بها دول عظمى تملك السلاح والقنابل والاساطيل

ان من عبقرية عمك جمال يا بنى أنه يبسط كل مشكلة تواجهه ويعود بها الى أصلها ٠

والدول العظمى المتآمرة تريد عن طريق تجويع شعبنا وفرض الحصار عليه أن تحطم مقاومته فيسجد راكعا للسيطرة الأجنبية

المسألة اذن ببساطة هى تجويع الشعب وافقاره لكى يستسلم

## عمك جمال يرد رده المذهل

وتلفت عمك جمال من حوله يا بنى واستعرض تاريخ كفاح الشعب وآلامه وآماله

وفى خلال استعراضه للاحداث وقف عند قناة السويس

ان قناة السويس تمثل فى بلدنا الذى استقل وخرجت منه جنود الاحتلال قبل ذلك بشهر واحد فقط ، هذه القناة تمثل آخر معقل من معاقل الاستغلال الاجنبى

وشركة قناة السويس تمثل أبشع نصب دولى فى القرن التاسع عشر ، شقتها مصر بسواعد عشرات الالوف من أبنائها الذين ماتوا وهم يحفرونها سخرة ، وأنفقت عليها من حر مالها ستة عشر مليونا من الجنيهات من مجموع ما صرف فى شقها وهو ثمانية عشر مليونا من الجنيهات بشهادة قنصل أمريكا فى مصر وقتذاك

ومع ذلك تستولى الشركة التى دفعت مليونين واستغلت عشرات الالوف من المصريين أقول تستولى الشركة على عشرين مليونا من الجنيهات أرباحا كل عام ولا تأخذ مصر التى دفعت حياة أبنائها مضافا اليها ستة عشر مليونا الا رسما صوريا فقط لا يتجاوز المليون

والقناة فى أرض مصر وتحت سيادة مصر وملك لمصر !

والاعجب من هذا أن الذى يستولى على هذه الارباح الصافية هم العصابة المتآمرة : أمريكا وبريطانيا وفرنسا الذين يتآمرون اليوم على شعب مصر لتجويعه وافقاره وحرمانه حتى من الاستدانة من البنك الدولى بأبهظ الفوائد ، اذ كنا سنقترض سبعين مليونا من الجنيهات نردها مائة وعشرين .

وهكذا اهتدى عمك جمال يا بنى الى الحل الخالد وكان بسيطا كما قلت لك يا بنى

فقناة السويس التى هى ملك لمصر يجب أن تعود الى مصر

ان شركة قناة السويس شركة مصرية ومعطى لها الامتياز من حكومة مصر ، ولكنها لم تكن فعلا الا آخر معقل للاستغلال الاجنبى وموردا يدر الذهب على المتآمرين الذين يتآمرون اليوم لتجويع شعب مصر صاحب القناة

ولم يضيع عمك جمال لحظة واحدة بعد أن انتهى الى هـــذا القرار •

ففى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ اى بعد الحماقة التى ارتكبها المستر دالاس وحلفاؤه بأســـبوع واحد وقف عمك جمـــال فى الاسكندرية وأعلن فى خطابه السنوى تأميم شركة قناة السويس• وفى الوقت نفسه كانت السلطات المصرية تتسلم المرفق •

وأصبح يوم ٢٦ يوليو الذى خرج فيه الملك الفاسد من بلدنا يوما خالدا بعد أن أضيف الى أمجاده هذا المجد الرائع ••

اننى مهما وصفت لن أستطيع أن أصف لك يا بنى شعور الشعب المصرى حينما أعلن عمك جمال هذا القرار الخالد •

لقد كان الشعب فى فرح مذهل خاصة وأن تأميم شركة قناة السويس كان أملا يجول فى كل خاطر •

وأمر آخر يا بنى

لقد أحس كل مواطن باعلان هذا القرار أن كرامته قد حفظت وأن كبرياءه قد رضي واطمـــأن بعد أن ظل المتآمرون الكبار طيلة أسبوع مضى ـ بين سحب المعونة واعلان التأميم ـ يتيهـــون فى صحافتهم وأبواقهم غرورا واستعلاء •

ولم يكن الشعب المصرى وحده هو الذى أحس هذا الاحساس وانما أحست به كل الشعوب العربية تماما كما حدث يوم أن عقدت صفقة الأسلحة ، ولكن يوم القناة كان أخلد وأروع لأنه كما قلت لك يا بنى كان نهاية تاريخ وبدء تاريخ •

## ثورة الثلاثة الكبار

الا أن التآمر لم ينته ، بل على العكس من ذلك ثارت ثائرة المتآمرين الكبار .

وصممت بريطانيا وفرنسا أول الامر على أن يقوما بالهجوم على مصر فورا ، وسافر المستر دالاس الى لندن لكى يهدىء من روعهما وينصحهما بأن يحلا الأزمة على طريقة الحل الذى طبق فى ايران ضد الدكتور مصدق أى بالتآمر فى الداخل لنسف الثورة المصرية ، وبالتالى الغاء قرار التأميم وعودة الأمور الى سابق عهدها كما حدث لشركة البترول فى ايران .

ولما لم تجد بريطانيا وفرنسا نفسيهما فى حالة تسمح لهما بالهجوم العاجل كما كانتا تريدان فان الثلاثة الكبار يخرجون من اجتماعهم بقرار هو عقد مؤتمر فى لندن وكانت أكبر مهزلة هى أنهم جعلوا من أنفسهم أولياء لأمر هذا العالم فعينوا الدول التى تحضره وجعلوا أكثر من ثمانين فى المائة منها من تلك الدول التى تسير فى فلكهم وتخضع لسيطرتهم .

والعجيب أن الثلاثة الكبار وجهوا الدعوة الى مصر فى صورة انذار يحمل القرارات التى يجب أن يخرج بها المؤتمر من قبل أن ينعقد ، كما وجهوا نفس هذه الدعوة الى بقية الدول التى ستحضر هذا المؤتمر ورفضت الدول الحرة التقيد بأى شىء — من قبل — بعد أن وافقت على الدعوة .

أما هنا فى مصر فاننا بعد دراسة طويلة لهذا الامر واستجابة لما ارتآه عمك جمال اتفقنا على أن يسافر عمك جمال بنفسه الى لندن لكى يواجه المتآمرين الكبار وجها لوجه أملا فى ألا نترك طريقا لامكان ايجاد حل سلمى ولا نطرقه .

ولكن لم تمض أربع وعشرون ساعة على اتخاذنا هذا القرار حتى خرج المستر ايدن رئيس وزراء بريطانيا الرجل المريض الحائر بحديث فى التليفزيون خرج فيه على كل أدب وعرف ولياقة ، وكال لمصر ولعمك جمال الشتائم والتهم ٠

وأصبح واضحا أن لا أمل فى أن يعود هؤلاء المتآمرون الى رشدهم وأن زيارة عمك جمال للندن لن تفهم على معناها الحقيقى

وأعلن عمك جمال فى مؤتمر صحفى عقد فى البرلمان رفض مصر لحضور المؤتمر ، وفند دعوى المتآمرين الكبار وأعلن عن عقد مؤتمر يضم جميع الدول التى تستخدم القناة يعقد فى القاهرة ٠

**فشل المتآمرين**

وعقد مؤتمر لندن الاول وانتهى الى قرار أيدته الدول التابعة للمتآمرين ورفضته الدول الحرة ، وأرسلوا رئيس وزراء استراليا الى مصر لكى يبلغ عمك جمال بهـــذا القرار ولكى يهـــدد عمك جمال ٠

واحتقر عمك جمال التهديد

وعاد رئيس وزراء استراليا الذى كان يفخر بأنه استعمارى، عاد الى لندن وانعقد مؤتمر لندن الثانى وقد سميته فى مقالاتى التى كنت أكتبها لجريدة الجمهورية وقت ذاك « بالمؤتمر الحزين »

لقد اجتمع هذا المؤتمر وانفض من غير أن يتخذ قرارا ٠

الى أن كان اقتراح جمعية المنتفعين ٠

وهذا الاقتراح من بنات أفكار بطل قصتنا هذه المستر دالاس

المقامر المغامر ، همس به فى أذن الرجل الحائر المريض ايدن رئيس وزراء بريطانيا .

وستقرأ يا بنى تفاصيل هذه الفقرة فتعرف أن هذا الاقتراح فشل كما فشلت كل خطط المستر دالاس وحلفائه المتآمرين

وستقرأ يا بنى أيضا عن مؤامرتين حاول المتآمرون تنفيذهما عند انعقاد مؤتمر لندن بقصد تعطيل الملاحة فى قناة السـويس وكيف أنهما فشلتا أيضا كما فشلت من قبل ومن بعد كل خطط التآمر والعدوان .

الى أن ذهب المتآمرون يشكوننا فى مجلس الأمن .

وبعد مناقشات وقفت فيها روسيا ويوغوسلافيا الى جانبنا اتخذ مجلس الامن قراره المشهور بالمبادىء الستة التى تحل على أساسها المشكلة حلا سلميا تحت اشراف سكرتير الامم المتحدة ، وكان قرار مجلس الأمن فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وحدد يوم ٢٩ أكتوبر لاجتماع مندوبى مصر وبريطانيا وفرنسا فى جنيف للتفاوض من أجل الوصول الى ذلك الحل .

ولكن

كان مقدرا ألا نذهب الى جنيف لأن المتآمرين الكبار كانوا قد أبرموا أمرا بليل ، وهجمت اسرائيل يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ على مصر كمقدمة للمؤامرة الدنيئة الكبرى التى لم يعرف التاريخ لنذالتها وخستها مثيلا الى اليوم .

# الفصل الحادى عشر

* المرحلة السادسة : الاذلال بالقوة .
* الانذار بالانذار والبادى أظلم .
* المرحلة السابعة : الفضيحة الكبرى .
* المرحلة الثامنة : الاصرار على المؤامرة .

## المرحلة السادسة
## الاذلال بالقوة

كان ايدن قد اصطحب معه تلميذه الفاشل وزير خارجيتـه الى باريس يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حيث اجتمعا هناك برئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها اجتماعا طويلا تقررت فيه المؤامرة وتقرر فيه دور اسرائيل ودور الدولتين الغادرتين ، ولم يكن مداد القـرار الذى اتخذ قبـــل ذلك فى مجلس الامن بثـــلاثة أيام ، وارتضته فرنسا وبريطانيا ، قد جف بعد ٠

وبينما نحن نعد العدة للاجهاز على اسرائيل بعد أن بدأت العدوان اذ بانذار هو الأول من نوعه فى تاريخ البشرية فى وقاحته وغروره يأتى الينا من فرنسا وبريطانيا ٠

ورفضنا الانذار

وأحس عمك جمال ــ يا بنى ــ بالمؤامرة فى سرعة ويقظة واتخذ قراره التاريخى بسحب قواتنا من سيناء لكى تنضم الى الشعب فى المعركة الفاصلة ضد بريطانيا وفرنسا ٠

ان هــذا القرار ــ يا بنى ــ كان أول ضربة سددهــــا عمك جمال الى المتآمرين لاحباط المؤامرة ، وسيظل الى الابد عملا فذا من أعمال عمك جمال التى أراد الله أن يحقق بها على يديه عزتنـا

وكرامتنا ، وأن يحقق بها على يديه أيضا استقلالنا ونصرة القومية العربية التى كان يراد لها أن تقبر الى الأبد .

ودخلت بريطانيا وفرنسا الحرب ، وستجد يا بنى وصفا تفصيليا لكل هذا فى كتاب آخر لى الا أن ما يهمنى أن أقوله لك هو أن مرحلة الاذلال بالقوة هذه التى أرادوا فيها اذلالنا قد انقلبت عليهم يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ حينما وضح للعالم أن مدينة صغيرة هى بور سعيد المصرية قد صمدت لجيوش وأساطيل بريطانيا وفرنسا ومعدات خلف الأطلنطى ولم تستسلم .

## انذار بولجانين

## الانذار بالانذار والبادى أظلم

وأرسلت روسيا الى بريطانيا وفرنسا بانذارها المشهور بعد أن حاولت أن تشرك معها أمريكا فى وقف العدوان ولكن هذه رفضت وتخاذلت .

لقد صيغ الانذار الروسى فى عبارات أرسلت الرعب فى مفاصل رئيس وزراء بريطانيا ورئيس وزراء ما يسمى فرنسا .

استمع معى يا بنى الى كلمات هذا الانذار القوية المروعة .

قال بولجانين فى الانذار الى المتآمرين :

« اننا مصممون كل التصميم على استخدام القوة للقضاء على العدوان وانهاء الحرب فى مصر » .

وقال أيضا فى انذاره لايدن :

« ان بريطانيا يجب أن تفكر فى موقف يجعلها معرضة

للهجوم من دولة أقوى منها كثيرا تستطيع أن تشن هجوما عليها لا بالسفن ولا بالطائرات ، ولكن بالصواريخ الموجهة ٠

وانك لتعد استخدام الصواريخ الموجهة ضد بريطانيا عملا همجيا ٠٠ ولكن ما الفرق بين مثل هذا الهجوم على بريطانيا ، والهجوم الذى تشنه بريطانيا وفرنسا على مصر وهى غير مستعدة !؟ ٠

عندئذ انهار ايدن وانهار زميله فى فرنسا ، وبدلا من أن يذلوا مصر بالقوة أذلهم الله أبشع اذلال بالقوة أيضا ٠

قوة الصواريخ

وانهار ايدن وانتهت مرحلة الاذلال التى كان مفروضا انها اذلال لنا الى الأزل ولكن لبريطانيا وفرنسا !

## المرحلة السابعة
## مرحلة الفضيحة الكبرى

حاولت بريطانيا وفرنسا التهرب من تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ، التى اتخذت باجماع يكاد أن يكون تاما ، وتنص على انسحاب المعتدين من أرض مصر ٠

وهنا ظهرت أمريكا مرة أخرى ٠

فقد كان المستر ايزنهاور رئيس أمريكا يخوض معركة تجديد الانتخابات واختار ايدن وموليه هذا الوقت بالذات لكى يجهزوا على مصر ، فالمستر ايزنهاور مشغول بانتخابات الرئاسة وهو فى حاجة الى أصوات اليهود حلفاء بريطانيا وفرنسا فى العدوان

على مصر ، ولكن المستر ايزنهاور وقف - يا بنى - وقفة لا بد لى أن أسجلها له بالشكر والتقدير برغم ما فات وبرغم أن هـــذه الوقفة لم تلبث بعد انســـحاب بريطانيا وفرنســـا أن تغيرت وانطمست بعد ظهور المستر دالاس مرة ثانية فى الميدان •

فى هذه المرحلة انفضح المتآمرون وأخذ كل واحد منهـــم يحمل المسئولية لأخيه •

أما ايدن رئيس وزراء بريطانيـــا فقد انهار وخارت قـــواه وأعطى أجازة •

وفى مجلس العموم البريطانى كشفت المناقشات عن فضائح تزكم الأنوف عما ارتكبته الحكومة البريطانية ورفضت هذه الحكومة اجراء تحقيق لتحديد أدوار المتـــآمرين واستنكر نواب العمال المؤامرة أبشع استنكار •

وفى فرنسا أعلنوا رسميا أن هدف العدوان لم يكن يقتصر على القضاء على مصر وزعيمها فقط ، وانما كان أيضا تصـــفية الحرب فى الجزائر واعادة سيطرة الغرب على البلاد العربية بأكملها والقضاء نهائيا على القومية العربية •

وفى اسرائيل ربيبـــة أمريكا وقاعـــدة الغرب للعـــدوان والاستعمار انفضحت النوايا وكانت أول الأمر القضاء على أوكار الفدائيين ثم أصبحت بعد تدخل بريطانيا وفرنسا وانسحابنـــا من سيناء أصـــبحت الفكرة الاستيلاء على سيناء واضافتهـــا الى اسرائيل ثمنا لها على العدوان ، ثم تضاءلت الفكرة الى قطاع غزة ، ثم انتهت وتحطمت الاطماع بعد أن وقف الرأى العام العالمى كله يستنكر تلك المؤامرة الدنيئة •

وظل عمك جمال يا بنى فى كل هذا رابط الجاش صلب الارادة لا يساوم ولا تزلزله أو تنال منه الخطوب والأحداث ٠

الى أن كان يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ وانتهى انسحاب بريطانيا وفرنسا من بور سعيد ، وبقيت اسرائيل تحاول المراوغة والافادة من العدوان ٠

## المرحلة الثامنة

## الاصرار على المؤامرة

قلت لك يا بنى : ان المستر ايزنهاور رئيس أمريكا وقف وقفة يستحق عليها الشكر والتقدير ونسيت أن أقول لك ان المغامر دالاس لم يكن الى جانبه فى ذلك الوقت كما هى عادته دائما ، وانما كان فى المستشفى وكانت تجرى له عملية ٠

وحين خرج المستر دالاس من المستشفى بدأ يرسم من جديد سياسة أمريكا كعادته ٠

والمستر دالاس يا بنى مغرم بالتقليعات الأمريكانية ، ومعتد بنفسه وبخطته الى حد السفه والجهل والغرور ! ٠

فلقد فكر المستر دالاس فى أن يضع خطة بهلوانية يستطيع بها أن يحقق الاهداف التى لم تستطع بريطانيا وفرنسا بجيوشهما أن تحققاها ولكن من غير حرب !

والمستر دالاس كما قلت لك يا بنى مفتون بقدرته وخطته وقد أطلق على خطته هذه اسم « العزل » ٠

كان يقصد بالعزل أن يتم عزل مصر عن العالم أولا ، وعن شقيقاتها العربيات ثانيا ، وبعد ذلك يمكن تنفيذ خطة « الغزو من الداخل » التى اتبعت مع الدكتور مصدق فى ايران ونجحت ٠

أما العزل من الخارج فقد بدأه المستر دالاس عقب خروجه من المستشفى مباشرة على شكل ضغط سياسى وحصار اقتصادى وتجميد لأموال مصر ومنعها من الحصول على حاجاتها من أسواق العالم .

وقد نفذ المستر دالاس الضغط السياسى بسلسلة من التصريحات أصدرها هو وأوعز ببعضها الى المستر أيزنهاور فأصدرها هو الآخر يشيدان فيها بحق اسرائيل فى المرور فى قناة السويس وحق اسرائيل فى المرور فى خليج العقبة ومحاولة تدويل قطاع غزة أو ضمه الى اسرائيل الى آخر ما صدر من تصريحات فى ذلك الوقت عن المسئولين فى أمريكا . وكان هدف المستر دالاس هو تضليل العالم وعزل قضيتنا عن الرأى العام العالمى .

وقد نفذ المستر دالاس الحصار الاقتصادى فرفض أن يبيعنا القمح يوم أن كنا بعد العدوان على وشك أن نجوع لنفاد مخزون القمح ، ورفض أن يبيعنا البترول بعد العدوان أيضا وبعد أن حطمت اسرائيل — بتأييد حليفتيه بريطانيا وفرنسا وبالسلاح الذى أعطاه لها مستر دالاس — آبارنا فى سيناء فى الوقت الذى أعلنت فيه أمريكا رسميا عن معونات وأغذية تقدم مجانا لاسرائيل المعتدية .

وأوعز المستر دالاس الى الاسواق الغربية لكى لا تشترى منا أو تبيعنا شيئا .

وجمد المستر دالاس رصيدنا من الدولارات فى أمريكا .

وأما الغزو من الداخل فقد بدأه المستر دالاس أيضا عقب خروجه من المستشفى بأن أوعز الى عملائه من ملوك ورؤساء العرب بأن يستعدوا للدخول فى المعركة ضد مصر .

بدأت خطة الغزو من الداخل بزيارة الملك سعود لأمريكا فى يناير سنة ١٩٥٧ أى بعد مضى بضعة أيام من انسحاب بريطانيا وفرنسا ٠

والمستر دالاس لا يضيع الوقت يا بنى ٠

هناك جلس الملك سعود الى المستر دالاس ورجاله وتلقى منهم الأوامر بالخطة الجديدة ، لقد اختاروه لكى يمثل الدور الجديد ، اختاروه لكى يكون الزعيم الأوحد للمنطقة وعليه أن ينفذ ما يطلب منه لكى تؤكد له أمريكا زعامته على العرب ، وعلى المسلمين ٠

كان عليه أن يحسن علاقاته بحكام العراق عملاء أمريكا فصدع للأمر وسافر الى العراق ٠

وكان عليه أن يسقط الحكم الوطنى بالاردن ويأتى بعملاء أمريكا الى الحكم ٠

وكان عليه أن يتصل بالسيد كميل شمعون رئيس لبنان لينسق معه الخطط ويدبر فى بيروت المؤامرات !

وقد نفذ هذا أيضا بأمانة واخلاص !

وكان باقى الخطة هو أن يتكون من هؤلاء الحلفاء حزام جديد يعزل مصر وسورية اللتين رفضتا أن تسيرا فى فلك أمريكا ، ثم تدبر المؤامرات فى بيروت ضد سورية وضد مصر لاتمام خطة الغزو من الداخل ٠

وقد نفذ هذا أيضا بأمانة واخلاص ، ودفع الملك سعود نصف مليون جنيه لمؤامرة المراغى التى كان هدفها اغتيال عمك جمال ، وفشلت هذه المؤامرة على يد بطل مصرى هو الضابط عصام الدين خليل ٠

وفى سورية دفع الملك سعود مرة ثانية مليونين من الجنيهات لكى تحبط الوحدة بين مصر وسورية ، ولكى يغتال عمك جمال أيضا ، وفشلت هذه المؤامرة كما فشلت سابقتها على يد البطل السورى عبد الحميد السراج .

وبدلا من أن تعزل مصر ، عزل الملوك والرؤساء العرب – من عملاء أمريكا – عن شعوبهم ، وأصبح من المحتم أن ينقذ المستر دالاس عملاءه الذين ظهر أنه أتى بهم لينقذوه ، وينقذوا سمعة أمريكا من الحضيض .

واليوم وأنا أكتب لك يا بنى هذه الكلمات يحاول المستر دالاس أن يوهمنا ويوهم العالم أنه قد غير سياسته نحو مصر وسورية اللتين أصبحتا بلدا واحدا فى الوقت الذى يوعز فيه لعملائه حكام لبنان بالتقدم الى مجلس الامن بشكوى ضد الجمهورية العربية المتحدة في محاولة لانقاذهم من غضبة شعوبهم ! .

ان تطورا يحدث اليوم يا بنى فى بلدنا وفى منطقتنا سأفرد له الأجزاء المقبلة من هذه الذكريات التى أكتبها لك ، فأحداث السنة الواحدة اليوم تفوق ما كان يحدث فى مئات السنين ، ولا يزال عمك جمال يا بنى كما قلت لك هو المحور الذى يدور من حوله كفاحنا وتتبلور فيه آمالنا وأمل الأجيال المقبلة فى الحياة والكرامة والسلام .

من أجل ذلك فأنا أختم هذا الجزء من ذكرياتى لك بحديثى الذى توجهت به الى الله يوم أن عاد عمك جمال من رحلته الموفقة الى روسيا ففيه تلخيص لهذه الحقبة التى حدثتك عنها فى اجمال .

## الحبيب القائد

وجمال يارب من صنعك الرائع ، وابداعك القاهر ، انه عبدك المؤمن بك ، المتوكل عليك ، المسير بالهامك ، الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

ولقد نصرتنا به يارب فى مواطن كثيرة .

نصرتنا به يوم ان ضاقت علينا ارضنا ، وحبس الملك الخليع هو وشركاؤه علينا انفاسنا ، فشاءت قدرتك ان ينتصر الشعب وان يملى ارادته كفاحا ونضالا وخلقا وابتكارا ، وتضحية وفداء وصلابة واصرارا من خلال جمال ، وعلى يد جمال ، وبيقين منك يارب وهبته لجمال .

ونصرتنا به يارب يوم ان خضنا مع بريطانيا معركة الجلاء .

كانت جيوش بريطانيا تدنس بأقدامها ارض وادينا الطاهر الحبيب ، كان ترابنا يصرخ من وقع اقدامهم ، وكان هواؤنا يتلوى من بخر انفاسهم ، وكانت سماؤنا تتململ وهى تظل عوراتهم .

لعنهم شعبنا ، واحتقرهم نيلنا ، ومع ذلك ظلوا زهاء السبعين عاما يعبثون بالحرمات ويغتصبون الارض والارزاق ، ويسفهون احلام الناس ويخيفون ايضا الملك والاقيال من الزعماء.

واردت يارب ، فخرج اليهم جمال ان احملوا عصاكم على

الكاهل وارحلوا او اقبلوها حربا لاتعرف النقص او الخداع .
فاوض جمال فلم يساوم ، وقاد المعركة فلم يهادن ، وحين انجلى الغبار ، كان الوطن قد تطهر من رجس اولئك الانجاس من خلال جمال وعلى يد جمال وبيقين منك يارب وهبته لجمال .

ونصرتنا يارب فى معركة احتكار السلاح .

كانت بريطانيا ايضا تطبق على هذا البلد شرائع عجيبة فى التحكم والسيطرة والاحتكار .

فلقد كانت بريطانيا تحتقر حكام هذا البلد ، وهم الذين ارتضوا ان يسيروا فى فلكها ، ويأتمروا بأمرها وهذه هى سنة الكون فالذى يسلم قياد نفسه لغيره لن يكون جزاؤه من هذا الغير الا المهانة لانه اذل نفسه بالخضوع له .

وظنت بريطانيا انها تستطيع ان تفرض على هذا البلد احتلالا وسيطرة عن طريق بيع السلاح بعد ان فقد ذلك الاحتلال وتلك السيطرة وجودهما بجلاء الجنود والمعدات .

وحذت أمريكا حذو بريطانيا فى سوء القصد وخبث الطباع .

وجرى قدرك يارب فدخل الشعب كله المعركة بقيادة جمال ليخرج منها — وهو الشعب الاعزل الصغير — ظافرا بعد ان لقن الكبار درسا فى الاخلاق .

تعلمت امريكا ان هناك من يؤمنون بالقيم العليا ، وانها لاتباع ولا تشترى حتى بملايين الدولارات .
وتعلمت بريطانيا ان شعبا صغيرا شريفا يستطيع ان يهدم غرور السيطرة ونفاق الهيبة وكذب الوقار .

وعرف العالم كله أن شابا أسمر اسمه جمال ومن ورائه شعب

أعزل الا من الايمان ، عرف العالم أنهما قد استطاعا أن يحطما قيود السيطرة التقليدية للكبار بل لقنا هم أيضا أعمق درس فى الكرامة علهم يقلعون عما يملأ عقولهم من تفاهة وصغار •

وكانت هذه المعركة أيضا بقيادة جمال ، صنع خطتها جمال ووضع تكتيكها جمال ، على هدى يقين منك يا رب وهبته لجمال •

ونصرتنا به يا رب فى معركة قناتنا :

لقد أرادوا بنا كيدا فكانوا هم الأخسرون !

فحين صور الوهم لكبيرهم أنه يستطيع أن يذل كرامتنا ، نحن الشعب ، بالتجويع وبالايقاع بيننا وبين زعيمنا جمال ، بادر جمال فرد الصفعة صفعتين وبدلا من أن نجثو على ركبتنا ارتفعت هامتنا فوق أرضنا واحتفظنا برشدنا ، فى الوقت الذى طاشت فيه عقول الكبار وأكلهم حقدهم حتى أن نجما معطرا من دهاة ساستهم سقط صريعا وخارت قواه •

وجاء العدوان على صورة مؤامرة دنيئة وانذار قذر فى معناه وفى مبناه سيظل يحكى للأجيال قصة اللؤم والغدر والغرور •

وفجأة انكشف اللؤم وانهزم الغدر وتحطم الغرور وفاح فى العالم كله نتن أولئك الذين كانوا ينصبون من أنفسهم حراسا على المبادىء فداسوها ، وحماة للحقوق وهم ناهبوها •

وبعد العدوان جاءت معركة العزل والتجويع والحصار ، فلم تختلف عما سبقها من معارك الا فى أن أبطالا جددا من ملوك ورؤساء العرب قد دخلوها الى جانب أمريكا وبريطانيا وما يسمى بفرنسا • ويشاء الله أن تفشل أمريكا كما فشلت حليفاتها ، وينهزم البغى ويتحطم الطغيان •

ويشاء الله أيضا أن ينكشف أمر أولئك الملوك والرؤساء على صورة تبعث على الرثاء والاشفاق وهم الذين كانوا يوقنون أن جمالا قد شطب اسمه فى واشنطن ونسوا أن الذى يكتب ويشطب هو رب السماء الذى صنعهم وصنع جمال ، وهو الذى أورثهم الخيبة بعد أن أشركوا بقدرته ، ووهب جمال الحكمة ، وهو المؤمن بعــزته ووحدانيته ٠

وجمال يا رب من صنعك الرائع وابداعك القاهر ، انه عبدك المؤمن بك المتوكل عليك المسير بالهامك الباعث فى شـعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام ٠

ونصر اليوم يا رب هو أروع ما وهبتنا من انتصارات ٠

لقد وهبتنا ، يارب ، الصداقة ٠٠٠ أشهى ثمرة من ثمرات هذه الحياة ٠

فلطالما مددنا أيدينا بالصداقة للجميع فى حماس واخلاص ، وكنا نحزن حينما تمتد الينا أياد وهى ترتدى قفاز الغرور أو قناع السيطرة ظنا منها أننا لا نرى بأعيننا أو نحس بوجداننا ٠

وقد رفضنا مصافحة هذه الأيدى حتى تتطهر من هذا القفاز ومن ذلك القناع ٠

الى أن كانت أول يد شريفة تمتد الينا وتخوض معنا معاركنا فى حماسة واخلاص ٠

رأيناها يوم كنا نحارب معركة احتكار السلاح للتحكم وفرض السيطرة ٠

امتدت الينا هذه اليد بالسلاح من غير قيد ولا شرط وبلا تحكم

أو سيطرة ، وانما بصداقة وتجارة شريفة واحترام متبادل وتقدير لظروفنا فاق فى كل معناه كل أخوة وكل صداقة ٠

وامتدت الينا هذه اليد أيضا بالتأييد يوم أن عادت لنا قناتنا ٠

وامتدت الينا هذه اليد أيضا بالتأييد يوم أن تآمر الكبار علينا فى مجلس الامن فكان « الفيتو » الروسى هو اللطمة التى جعلتهم يفيقون من غشيتهم لكى يعترفوا بعد ذلك فى أيامنا هذه بعودة الحق الى أصحابه ٠

وامتدت الينا هذه اليد بالتأييد الجبار الساحق يوم أن خرج على بريطانيا وفرنسا ذلك الانذار المشهور فانهار غرور المعطر ايدن فجأة وجثا على ركبتيه وانهارت قوى عصـــابة مونمارتر التى كانت تحكم فرنسا ٠

يا الهى ٠٠ اننى أذكر ذلك الانذار اليوم كما يذكره كل عربى، فلا نملك الا احتقار الغرور ، والرثاء للمغرورين ٠

وامتدت الينا هذه اليد فى معركة الضغط والتجويع فأرسلت لنا سنابل القمح ومراكب الزيت لكى يأكل الشعب ويطهو خبزه وطعامه ويدفىء برده ويبرىء آلامه ٠

وامتدت الينا هذه اليد فى معركة الحشود على اقليمنا الشمالى فباء التهديد بالخسران وانحسر الغرور مرة أخرى وانهزم الباطل وانهارت خطة العدوان ٠

وامتدت الينا هذه اليد مرة أخرى لكى ترفع فى وطننا الأبنية وتدور الآلات ، ولكى تعمل أجهزة الكشف والتنقيب وتخرج الثروات وتدفق المياه من السدود والخزانات ، فيرتوى الزرع ،ويسعد الأهل

فى ظل كرامة محفوظة ، وحرية مصانة ، واستقلال مشيد ، وأمل متزايد ، ومستقبل مشرق ..

أعرفتها ؟ .. انها يد الشعب السوفييتى الصديق .

فبارك لنا يا رب فى هذه اليد النظيفة المخلصة .

وبارك لنا يا رب فى هذه الصداقة الشريفة التى دعمها الشعب السوفييتى بحبه لجمال ، فنحن لا نملك الا أن نبادل هؤلاء الاخوة حبا بحب واعجابا باعجاب وصداقة بصداقة نفخر بها على مر الأيام .

جمال .. أيها الحبيب العائد .. أهلا بك رائدا ورمزا وزعيما .

أهلا بك فى أهلك يا أخا العرب ، وموئل أملهم .

أهلا بك فى أهلك يا رسول الخير والحق والسلام .

أهلا بك فى أهلك يا صديق الأحرار ومناط رجائهم .

وجمال يا رب من صنعك الرائع وابداعك القاهر ، انه عبدك المؤمن بك ، المتوكل عليك ، المسير بالهامك ، الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

# فهـرس

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


الدار القومية للطباعة والنشر



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٣١٢

الثمن ١٠

١٩٦٥/٨/١١